أبو الحسن علي الحسني الندوي

الإسلاميات

بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين

تقييم لكتابات المستشرقين
واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين
في الموضوعات الإسلامية

مؤسسة الرسالة

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الإسلاميات

بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين

تقييم لكتابات المستشرقين
واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين
في الموضوعات الإسلامية

مؤسسة الرسالة

الطبعة الثالثة
مزيدة ومنقحة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

نظرة فاحصة في كتابات المستشـرقين وبحوثهم، واستعراض إجمالي لأدب الدعوة في اللغات الأجنبية، والعمل التحقيقي الموسوعي في العالم الإسلامي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الندوة العلمية على موضوع
« الإسلام والمستشرقون »
(التي أعد لها هذا البحث)

بقلم :
الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي
سكرتير المجمع الاسلامي العلمي
ندوة العلماء لكهنؤ

كان المسئولون عن أكاديمية « دار المصنفين » في أعظم كره، والقائمون على شئونها وإدارتها، ـ وفي مقدمتهم الأستاذ صباح الدين عبدالرحمن، أمين هذا المجمع العلمي العام ـ يفكرون من زمان في أن يعقدوا ندوة يستعرضون فيها أعمال المستشرقين وبحوثهم في الموضوعات الاسلامية، ليكون بذلك تقييم لأعمالهم واستعراض لجهودهم العلمية في المجالين السلبي والايجابي، فقد كان ذلك موضوعاً مهماً من الموضوعات التي كانت تستحق عقد ندوة علمية عليها من زمن بعيد.

وأذن الله بأن يتمكن المجمع من تنفيذ رغبته لعقد هذه الندوة، وذلك في ما بين ٢٦ و ٢٨ / ربيع الآخر عام ١٤٠٢ هـ، ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ من فبراير عام ١٩٨٢ م، بين يومي الأحد والثلاثاء.

انعقدت هذه الندوة العلمية في ساحة كلية شبلي الكبيرة (Shibli National Post Graduate College) وقاعتها المجاورتين لمبنى دار المصنفين الرئيسي في بلدة أعظم كره، وكانت قد ضربت سرادقات وخيام للجلسة الافتتاحية ولإقامة الضيوف، وذلك لعدم وجود فنادق مريحة في تلك البلدة.

وكانت ندوة العلماء، وبخاصة كليتها للغة العربية، متعاونة مع دار المصنفين في تنظيم الندوة فقد وفد منها أصحاب الاختصاص في ذلك، وتبنوا الموضوع وساهموا في تنظيم الندوة وإدارتها مساهمة فعالة.

ولقد كان تمثيل الجامعات المدنية العصرية، والجامعات الاسلامية من الهند على نطاق واسع، أما من خارج الهند فقد وفد مندوبون من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة البترول والمعادن بالظهران، وجامعة قطر بالدوحة، وجامعة الامارات العربية المتحدة بمدينة العين، ورابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة، ورئاسة القضاء الشرعي بأبو ظبي[1]، والجامعة الاسلامية باسلام آباد باكستان، ومركز الدراسات الاسلامية بباكستان، ومؤسسة همدرد في كراتشي باكستان، وجمعية الاسلام في بانكوك تايلاند،

(١) وفد وفد من دبي والشارقة، وبعض الوافدين من جهات عربية أخرى، ووصلوا إلى دلهي، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول في الميعاد لمشاكل النقل والسفريات، فإن أعظم كره ليست على الخط الجوي، والخط الرئيسي من سكة الحديد.

وجمعية الاسلام في اليابان، وقسم الدراسات الاسلامية بجامعة دربن جنوبي إفريقيا، أما من الهند فمن جامعات وجمعيات، ومؤسسات إسلامية مختلفة، وشخصيات علمية ذات اختصاص وشهرة في هذا المجال.

بدأت الجلسة الافتتاحية في الساعة العاشرة صباحاً من يوم الأحد في ٢٦ من ربيع الآخر، ٢١ / فبراير في السرادق الكبير، واختير الباحث الاسلامي الكبير فضيلة الدكتور العلامة الشيخ يوسف القرضاوي عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة قطر، رئيساً لهذه الجلسة، وافتتحت الجلسة بتلاوة آي من الذكر الحكيم، تلاها طالب أندونيسي في دار العلوم ندوة العلماء، ثم قدم الأمين العام لمجمع دار المصنفين الأستاذ السيد صباح الدين عبد الرحمن كلمته الترحيبية، وكانت متضمنة للبحث في موضوع الاسلام والمستشرقين أيضاً، ثم قدم عدد من ممثلي الوفود والهيئات كلماتهم، كان منهم مندوب جمعية الاسلام في بانكوك تايلاند الأستاذ إبراهيم قريشي، ومدير جامعة عليكره الاسلامية معالي السيد حامد، ورئيس مؤسسة همدرد باكستان معالي الأستاذ حكيم محمد سعيد، ومندوب جامعة البترول والمعادن بالظهران الدكتور ظفر إسحاق الأنصاري، ومندوب قسم الدراسات الاسلامية بجامعة دربن الدكتور السيد سلمان الندوي[١]، وعميد

(١) هو نجل العلامة السيد سليمان الندوي رئيس «دار المصنفين» سابقاً.

كلية شبلي السابق الأستاذ شوكت سلطان، ذكر كل واحد منهم أهمية الموضوع الذي تبحث فيه هذه الندوة، وأشاد بسبق دار المصنفين في عقد ندوة علمية على هذا الموضوع، وذكر أهمية دار المصنفين في العمل للدراسة العلمية لموضوعات ذات صلة وثيقة بالاسلام وتاريخه وحضارته وثقافته، ثم تليت ثلاث من الرسائل العديدة التي وردت إلى دار المصنفين بهذه المناسبة، كانت منها رسالة دولة الدكتور محمد معروف الدواليبي من الرياض، ورسالة من سماحة الشيخ أحمد ابن عبدالعزيز آل مبارك رئيس القضاء الشرعي بأبو ظبي، حملها وقدمها فضيلة الدكتور تقي الدين الندوي المستشار العلمي في رئاسة القضاء الشرعي بأبو ظبي وأستاذ جامعة العين، ورسالة من الدكتور عبد السلام الهراس رئيس قسم الأدب العربي بجامعة فاس المغرب، ثم ألقى فضيلة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رئيس المجلس التنفيذي لدار المصنفين محاضرته القيمة ككلمة ترحيبية بالمندوبين، وكبحث افتتاحي للندوة، وكانت ضافية وافية في الموضوع، وقرأ السيد سلمان الحسيني الندوي مقتطفات من بحثه الذي أعده في اللغة العربية لهذه الندوة، ولم يتسع الوقت لقراءته كاملاً، وهو مقدم إلى القراء في هذه الرسالة، ثم ألقى سعادة رئيس الجلسة فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي خطابه الرئيسي.

وشكلت لجنة تقوم بتنظيم البحوث، ولجنة أخرى للنظر في

البحوث والكلمات الملقاة في جلسات الندوة، وصياغة التوصيات بالاستنارة بها، وعقدت خمس جلسات للبحوث، ويبلغ عدد البحوث التي قدمت إلى الندوة إلى خمسة وثلاثين (٣٥) بحثاً، قرىء منها في الجلسات ثلاثة وعشرون بحثاً ومقالة، وبحثت ونوقشت في الجلسات ولم يتسع الوقت لأكثر منها[١]، وكان للدكتور السيد سلمان الندوي، والسيد سلمان الحسيني الندوي دور فعال في هذه الندوة، أولهما كمقرر لجلسات البحوث، وثانيهما كمترجم وملخص للكلمات والبحوث التي كانت تلقى في مختلف اللغات، إلى العربية والأردية.

وعقدت الجلسة الختامية في ظهر يوم الثلاثاء في ٢٨ / من ربيع الآخر سنة ١٤٠٢هـ، ٢٣ / من فبراير ١٩٨٢م، وقدمت فيها التوصيات التي اقتبستها لجنة التوصيات من المداولات والمباحثات التي جرت في جلسات الندوة، وتقرر تأسيس مكتب لمتابعة العمل وفقاً للتوصيات الصادرة من هذه الندوة، وقرر أن يكون هذا المكتب في دار المصنفين أعظم كره.

وإلى القراء البحث المستفيض المفيد الذي أعده سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي (أمين ندوة العلماء العام، ورئيس

---

(١) ستنشر هذه البحوث والمقالات في مجموعة مفردة.

المجلس التنفيـذي لـدار المصنفين) لهذه النـدوة العـالميـة على موضوع «الاسلام والمستشرقون»

غرة جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ — والحمد لله أولاً وآخراً

٢٧ من مارس ١٩٨٢ م — محمد الرابع الحسني الندوي

الاســــلام والمستشرقون

تعاليم الاسلام في الحكم بالعدل وإقامة الوزن بالقسط:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد:

فإن من أصعب العمليات وأشقها على المشتغلين بالتأليف والبحث والتحقيق الذين يعرفون قيمة العلم ومدى عناء المؤلف والباحث في تأليفه وبحثه، وإجهاده للنفس، واستنفاده لطاقته ومجهوده في إخراج الكتاب في أتم شكل، والوصول إلى نتائج علمية ثابتة، هو الحكم على طبقة أو جماعة علمية حكماً قاسياً جائراً، وغمط الحق معهم، والطمس على محاسنهم إطلاقاً، وقياسهم بمقياس واحد.

ومن المعلوم أن طبقة العلماء والباحثين الحقيقيين قديماً وحديثاً، امتازوا من بين طبقات المشتغلين بصناعة واحدة، والمشاركين في فن واحد، برحابة الصدر وسعة النظر وسلامة القلب، والاعتراف بالفضل، والاستفادة من مجهود الأولين بل المعاصرين، بل من كان دونهم في السن والطابقة، وطول الممارسة لصناعة التأليف والبحث، وإن أكثر ما تتنافى هذه القسوة ونكران الجميل، وجحد الحق والفضل، تتنافى مع

تعاليم القرآن وآداب الاسلام، فالقرآن يقول:

﴿ إنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أنْ تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بَيْنَ الناس أنْ تحكُموا بالعَدل إنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بهِ إن الله كانَ سَميعاً بَصيراً[1] ﴾

ويقول:

﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا كونوا قَوامين لله شُهداءَ بالقِسْطِ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنآن قَومٍ على ألاَّ تَعْدِلوا اعْدِلوا هُوَ أقْرَبُ للتَقْوى[2] ﴾

﴿ وأقيموا الوَزْنَ بالقِسْط ولا تُخسِروا الميزانَ[3] ﴾

وإذا كان لا بد من نقد وتقييم لعمل علمي أو تحقيق لباحث والاختلاف عنه، أو نقضه وتزييفه، أو تبيين الخطأ فيه، فليكن في اسلوب علمي، ونقد نزيه، وبنسبة عادلة معقولة، فالضرورات - كما يقول فقهاء الاسلام - تقدر بقدرها.

اعتراف ببعض جهود المستشرقين العلمية الموضوعية:

لذلك أعترف بكل وضوح وصراحة أن عدداً من

(١) سورة النساء ٥٨

(٢) سورة المائدة ٨.

(٣) سورة الرحمن ٩.

المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الاسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات والاسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم، وبذلوا فيه جهوداً ضخمة، ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم ترضوء الشمس منذ قرون، إلى النشر والاذاعة، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين، وعاهة الأرضة، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية، لها مكانتها وقيمتها، صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم وقرت بها عيون العلماء في الشرق.

يجدر بالذكر منهم - على سبيل المثال ومن غير استيعاب - البروفيسور - ت - و - آرنلد T. W. Arnold صاحب الكتاب القيم The Preaching of Islam (الدعوة إلى الاسلام) واستانلي لين بول Stanley Lane-Poole صاحب كتاب Saladin (صلاح الدين الأيوبي) و Moors In Spain (العرب في الأندلس) والدكتور اسبرنجر Dr. Aloys Sprenger صاحب المقدمة الانجليزية النفيسة لكتاب «الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني» طبع المجمع الآسيوي الملكي بكلكته، وإدوارد لين (Edward William Lane) صاحب المعجم الكبير المنسوب إليه المعروف بـ (Arabic-English Lexicon) لشرح المواد العربية باللغة الانجليزية، شرحاً موسعاً يعتمد عليه

ويستفيد منه كثير من علماء اللغة العربية والنحو، طبعت ثلاثة من أجزائه التسعة بعد وفاته، و ا .ى ونسنك (A. J. Wensinck) صاحب المعجم المفهرس العام التفصيلي الذي وضع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة وكتب السيرة والمغازي المشهورة[١]، ورتب كتابه على المعاني والمسائل العلمية والأعلام التاريخية ورتب عناوين الكتاب على حروف المعجم، وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ فؤاد عبدالباقي وسماه « مفتاح كنوز السنة » وقدم له العلامة السيد رشيد رضا والعلامة أحمد محمد شاكر.

وأشرف الأستاذ ونسنك كذلك على ترتيب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي[٢] الذي رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، ونشره الدكتور في سنة ١٩٣٦م، والاستفادة منه سهلة ميسورة جداً، وقد جاء هذا الكتاب في سبعة مجلدات كبار.

و ج .ب .استرتنج (G. B. Strenge) صاحب كتاب (Lands of The Eastern Caliphate) (جغرافية الخلافة الشرقية).

---

(١) ليرجع إلى أسمائهم وأسماء الكتب وطريق المؤلف في التأليف في مقدمات الكتاب.

(٢) وهي التي وردت في الكتب الستة، ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل.

وكلها مؤلفات وبحوث[١] تدل على عناء المؤلفين ودراساتهم المغنية المخلصة للموضوع، المتجردة - في أغلب الأحوال - عن العصبية الدينية ومجانبة الحق.

تصيد مواضع الضعف والعورات في كتابات كثير من المستشرقين:

ورغم هذا الاعتراف بفضلهم وعلمهم لا يمنعني شيء في هذا المجلس العلمي الموقر، من أن أصرح بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الاسلامية، والحضارة والتاريخ الاسلامي، وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية، فكان شأنهم في ذلك شأن من لا يرى في مدينة ذات بهجة ونضارة، ونظام ونظافة، إلا مزابل ومراحيض ومستنقعات، كما هو دأب مفتش الأوساخ والمياه المصرفة (Drain Inspector) في البلديات وأمانات العواصم، فيرفع بذلك تقريراً إلى الجهات المختصة لا يجد فيه القاريء - بطبيعة الحال - إلا الحديث عن العفونات والأوساخ.

فنرى كثيراً من المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعيهم على تعريف مواضع الضعف في تاريخ الاسلام

---

(١) اقتصر صاحب البحث على مؤلفات المستشرقين بالانجليزية التي خلت - بصفة عامة - من طعن في الاسلام وصاحب رسالته - عليه الصلاة والسلام - وتحريف الحقائق، ولم يتعرض للكتب المؤلفة في غيرها من اللغات الأوربية - كالفرنسية والألمانية والهولندية - لعدم معرفته بها معرفة شخصية.

ومجتمعه ومدنيته، حتى في ديانته وشريعته، وتمثيلها في صورة مروعة مضخمة، إنهم ينظرون إليها عن طريق «المجهر» (Microscope) ويعرضونها كذلك للقراء حتى يروا الذرة جبلاً، والنقطة بحراً، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم في كثير من الكتابات في تشويه صورة الاسلام، ويثيرون بذلك في قلوب قادة العالم الاسلامي اليوم وزعمائه - ممن تثقفوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرى، أو درسوا الاسلام بلغات الغرب - شبهات حول الاسلام والمصادر الاسلامية، ويحدثون في نفوسهم يأساً عن مستقبل الاسلام، ومقتاً على حاضره، وسوء ظن بماضيه، حتى يتركز نشاطهم وحماسهم في رفع هتاف «تطوير الدين» و «إصلاح القانون الاسلامي»

«الاستراتيجية» الاستشراقية الدقيقة:

ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعينون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات - من كل رطب ويابس - ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم.

إنهم في أغلب الأحيان يذكرون عيباً واحداً ويجودون لتمكينه في النفوس، بذكر عشرة محاسن ليست لها أهمية كبيرة، وذلك كي يقف القارىء خاشعاً مؤدباً أمام سعة قلوبهم وسماحتهم، ويسيغ ذلك العيب الواحد الذي يكفي لطمس جميع المحاسن، إنهم يصورون بيئة دعوة أو شخصية وتاريخها وعواملها الطبيعية بلباقة وبلاغة، تصوران أن هذه الدعوة والشخصية لم تكونا إلا نتاج هذه البيئة أو العوامل ورد فعلها الطبيعي، وكأن البركان كان متهيأ للانفجار، فتناولته هذه الشخصية بشرارة فانفجر، فينكر القارىء أي اتصال بمصدر غير مادي، ولا يعترف لهذه الشخصية أو الدعوة بعظمة أو تأييد إلهي أو إرادة غيبية[1].

وكثير من هؤلاء المستشرقين يدسون في كتاباتهم مقداراً خاصاً من «السم» ويحترسون في ذلك، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم، حتى لا يستوحش القارىء ولا يثير ذلك فيه الحذر، ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف، إن كتابات هؤلاء أشد خطراً على القارىء من كتابات المؤلفين الذين يكاشفون العداء، ويشحنون كتبهم بالكذب والافتراء، ويصعب على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها، أو ينتهي من قراءتها دون الخضوع لها.

---

(١) وهذا كان شأنهم في تصوير العصر الجاهلي، والجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية.

إعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية على كتب المستشرقين:

ومما يدل على ضعف العالم الاسلامي والعربي وفقر وسائلهما العلمية، أن هذين العالمين كليهما يعتمدان على مؤلفات المستشرقين في المواضيع الاسلامية الخالصة، منذ زمن بعيد وهي مؤلفات تحتل مكانة «الكتاب المقدس» (Gospel) في موضوعها، فان كتاب ر.ا.نكلسن (R. A. Nicholson) في موضوع تاريخ آداب العرب (A Literary History of Arabs) وكتاب الدكتور حتي (Dr P. K. Hitti) عن تاريخ العرب والاسلام (History of Arabs) وكتاب كارل بروكلمان (Carl Brocklemann) في تاريخ الآداب العربية (Cescht Irder Arabichen Literature) باللغة الألمانية وترجمتها إلى الانجليزية باسم (The History of Arab Literature) وكتاب جولد تسهير (Goldziher) في العقيدة والشريعة في الاسلام (Introduction to Islamic Theology and Law) وكتابه «دراسات إسلامية» (Muhammedanische Studien Halle) وكتاب شاخت (Schacht) في مصادر الفقه الاسلامي باسم (The Origins of Mohammadans Jurisprudence) وكتاب و - س - اسمث (W. C. Smith) في الاسلام المعاصر واتجاهاته وحركاته، (Islam In Modern History) وكتاب (A. R. Gibb) (Whither Islam) (وجهة الاسلام) وكتب مونتجمري وات

(Montgomery Watt) في السيـرة النبـويـة (Mohammad In Mecca) محمد في مكة (Mohammad In Madina) محمد في المدينة ، و (Mohammad, Prophet and Statesman) (محمد كنبي وقائد سياسي) .

كل ذلك يخيل إليهم أنه مما ينفرد في موضوعه، ويعد مصدراً علمياً له أهميته وقيمته لجامعات الشرق في قسميها العربي والاسلامي ، وعليـه أكبـر اعتمـاد المؤلفيـن في قسـم الدراسـات الاسلاميـة (Islamic Studies Department) في الجامعات .

إن « دائرة المعارف الاسلامية » (Encyclopaedia of Islam) التي ألفها المستشرقون (ولو كان فيها لبعض المسلمين إسهام ضئيل) وصدرت منها طبعـات متعـددة تعـد أكبـر مصـدر للمعلومات والحقائق الاسلامية ، وأثمن ذخيرة لها ، وتعتبرها بعض البلاد الاسلامية اليوم أساساً للمعلـومـات الاسلاميـة ، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصهـا وفصهـا ، وكـان المتـوقـع المأمول منها أن تضع موسوعات إسلامية أصيلة بقلم الباحثين المسلمين أصحاب الاختصاص في الموضوعات الاسلامية[١] .

---

(١) مما يجب الاعتراف به أن عمل جامعة بنجاب في لاهور (باكستان) في إخراج هذه الموسوعة يتسم بكثير من الأصالة والتنقيح والحذف والزيادة ، حتى أصبح الكتاب مستقلاً له قيمته العلمية .

لا بد من الاكتفاء الذاتي في البحث والتأليف:

ولسد تأثير المستشرقين السلبي وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الاسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية، ويقدموا للعالم الاسلامي المعلومات الاسلامية المؤكدة، ووجهة نظر الاسلام الصحيحة، مع مراعاة الجوانب المحمودة التي يمتاز بها المستشرقون بل والزيادة فيها، كما يجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر، وتأكد المصادر وصحتها، واستدلالها القوي، بالنسبة لكتابات المستشرقين ومؤلفاتهم، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الاتقان والصحة، بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية.

محاسبة كتابات المستشرقين العلمية:

ومما يجب أيضاً هو أن يقوم هؤلاء العلماء المفكرون باستعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الغطاء عن تلبيساتهم، وأخطائهم في فهم النصوص وبيان المعنى، ويبدو للناس ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها، وأخطاء النتائج التي يستنبطونها منها، ويطلعوا على ما يضمر كثير منهم في نفوسهم من عداء للاسلام وما يكنونه من أغراض سياسية ودينية في خفايا

دعوتهم وتربيتهم، وكل ذلك مؤامرة على الاسلام والأمة الاسلامية يجب إحباطها[1] .

لا بد من عمل إيجابي بناء:

أما بدون الجمع بين هذا العمل الايجابي الذي يقتضي تأليف كتب تحليلية، وأبحاث عميقة حول المواضيع الإسلامية مع الإحالة إلى المصادر بضبط وإتقان، والفهارس المفصلة المفيدة المتنوعة (وذلك كله مما يعتبر من خصائص المستشرقين)والافادة من مواد لم تستخدم بعد، وكتب ومظان لا يتبادر إليها الذهن، وليست في صميم الموضوع ولا من التاريخ «الرسمي» الذي يدور حول البلاط والأسر الحاكمة والحروب والحوادث الجسيمة، وكل ذلك مع تحر للدقة والوجازة والبعد عن التنميق والاستطراد، وبين العمل العلمي وهي المحاسبة العلمية في أسلوب علمي نزيه، وكلام وقور رزين ولفظ موزون، بعيد عن التهكم والتنكيت، والتجني والافتراض، فإن كل ذلك يفقد النقد قيمته العلمية ووقعه النفسي، وبدون الجمع بين هذا وذاك لا تتحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من تأثير أفكار المستشرقين المسمومة

(١) اطلع صاحب المقال خلال زيارته للاهور (في باكستان) في يولية ١٩٧٨م على مشروع البروفسور ظفر علي القريشي، في جميع ما كتبه المستشرقون عن السيرة النبوية وصاحبها عليه الصلاة والسلام، و[illegible] العلمي ومحاسبتها والرد عليها، وقد أعد الأستاذ ظفر علي بحثاً قيماً في هذا الموضوع في اللغة الانجليزية يمتد على آلاف الصفحات، وقد أعجب المؤلف بمجهوده الفردي التطوعي ومكتبته الشخصية، وعجب من أنه لم يحظ إلى الآن بتقدير وتشجيع لائقين من حكومة إسلامية أو مؤسسة كبيرة.

وسيطرتهم العلمية، تلك الطبقة التي تعد من أذكى الطبقات في العالم الإسلامي وأكثرها طموحاً، والتي تدرس في جامعات أوربا، وأميركا الكبرى، أو في جامعات بلادها، وتحب دراسة الاسلام بلغات الغرب التي تتقنها.

والفراغ في ناحية من نواحي الحياة البشرية وحاجاتها لا يبقى طويلاً وهو مخالف لسنة الله في خلقه والفطرة البشرية، فيسد ذو الحاجة حاجته بشيء سقيم إذا لم يجد شيئاً سليماً، وما لم تتحرر هذه الطبقة المثقفة ـ التي ترزح تحت تأثير أفكار الغرب وعلمائه ـ من سيطرتهم، لاتزال الأقطار الاسلامية تواجه عاصفة الاضطرابات العقلية، والردة الفكرية، ويتبنى حملة التجديد والتغريب أفكارهم وآراءهم، حتى إذا تمت لهم سلطة سياسية، حاولوا تطبيق كل ما ينافي روح الاسلام على المجتمع، وتنفيذه في الحكم، ويشكلون بذلك مجتمعاً لا يشبه المجتمع الاسلامي القديم إلا في الجنسية والقومية، ولكنه مجتمع أجنبي يتجه نحو الغرب والمادية في الحقيقة والواقع، ويصح عند ذاك أن يخاطب قادة العالم الاسلامي وعلماؤه بالبيت الفارسي الذي معناه: مهلا أيها الأعرابي! فإن الطريق الذي اخترته يذهب بك إلى تركستان، وأنت تريد الكعبة!.

استعراض إجمالي للعمل الاسلامي في مجال البحث والتحقيق في العالم الاسلامي في العصر الحاضر:

فهل تحقق هذا الأمل؟ وهل قام الباحثون الاسلاميون

والكتاب المسلمون باللغات الأوربية ذات النفوذ العالمي، بدورهم وواجبهم في هذا الاتجاه؟ إنه يحتاج إلى استعراض أمين محايد ولو إجمالياً، حتى نعرف الأشواط التي قطعناها، وبرأنا به ذمة الله وذمة الاسلام، وهنا نظرة إجمالية على بعض المنجزات في هذا المجال.

لا يخفى على القارىء الخبير أن العالم الاسلامي ـ ولا سيما بلاده الأربع تركيا ومصر وإيران والهند ـ اضطر أن يواجه منذ منتصف القرن التاسع عشر المسيحي، الحضارة والثقافة، والأفكار والفلسفات، والمثل الغربية، إن هذه الأوضاع وتلك الحقائق المشار إليها كانت كفيلة بوفرة الإنتاج، وكثرة وضع الكتب عالية المستوى بأرقى اللغات الأوربية وأوسعها نطاقاً في كل الدول والمجتمعات الاسلامية المواجهة على الأقل في شرح العقائد والأصول، والقوانين والحضارة والثقافة الاسلامية، وفي تاريخ العهود الاسلامية الذهبية، وعهود قيادة المسلمين السياسية ونظام الحكم الاسلامي. والاقتصاد الاسلامي، وفلسفة الاسلام الأخلاقية وكانت كفيلة بأن تتخذ لهذه الأقطار اللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الهولندية[١] على الأقل وسيلة للبحث والتحقيق، ونقد الحضارة الغربية، وإبانة مواضع الضعف فيها، وعرض محاسن الاسلام، وأن يستخدم أبناؤها المسلمون الملكات الخطابية والكتابية في

(١) هذه هي اللغات الأربع التي كثرت فيها المؤلفات والبحوث في الموضوعات الاسلامية.

هذه اللغات على المستوى الكبير، وتتكون فيها مكتبة واسعة في مدة قصيرة تمد الشباب المسلم بالثقة بالذات والاباء، والشعور باكتفاء الاسلام الذاتي في جميع مجالات الحياة، وترغم المفكرين الغربيين والطبقة المثقفة في أوربا وفي أميركا، والمستشرقين عامة على الدراسة الجادة للاسلام على الأقل - إن لم تستطع أن تبعثهم على الدخول في حظيرة الاسلام - وتحدث سيلاً جارفاً من الأبحاث الاسلامية، والانتاج الأدبي واللغوي، تصطدم أمواجه القوية بجدران الجامعات الشهيرة في العالم في أوربا وأميركا وكندا.

وكان من المتوقع أن يجعل هؤلاء البارعون في اللغات الأوربية من أبناء الاسلام جامعاتهم غنية بالمواد والأبحاث فيما يتصل بالتاريخ الاسلامي والقوانين الاسلامية، واللغات الشرقية وآدابها، ونقدها وتاريخها، وأنهم لا يدعون الدارسين في هذه المواضيع الحساسة، عالة على أي نكولسون (Nicholson) وعلى أي براؤن (Browne) وعلى أي حتي (Hitti) في دراسة التاريخ الأدبي والسياسي والحضاري لبلاد العرب وإيران، ولا على أي جولدتسيهر (Goldziher) وعلى أي شاخت (Schacht) فيما يتصل بدراسة الشريعة الاسلامية وتاريخ تدوين الحديث والفقه، ولا على أي مارغوليوث (Morgolioth) في دراسة لغة القرآن الكريم وعلومها، وآدابها وشعرها، ولا على أي

بروكلمان[١] (Brockelmann) فيما يتعلق بالاطلاع على الحركة التأليفية والكتابية في العهد الاسلامي، والتراث الاسلامي العلمي، وإنتاجات المسلمين العلمية، ومجهوداتهم القلمية...

إن كل ذلك لا يقف سداً منيعاً فحسب، أمام الردة الفكرية التي تكاد تكتسح الشباب الاسلامي المثقف الذكي، والتي كانت تنتشر في البلاد التي كانت مستعمرات غربية، انتشار النار في الهشيم، بل يفتح الباب على مصراعيه في أوربا لمد الدعوة الاسلامية، وللتعرف بالاسلام، والقرآن، والسيرة النبوية، وبالتالي يجذب من أراد الله به خيراً من سكان هذه الرقعة من أرض الله إلى عين الاسلام الصافية، وحصنه المنيع.

قلة الانتاج العلمي التحقيقي في الدول المواجهة، في اللغات الغربية:

كل الدلائل كانت تشير إلى أنه سيبتدىء في العالم الاسلامي عهد جديد للبحث والتحقيق، والتصنيف في المواضيع الاسلامية، وأن اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية بصفة خاصة، ستعود زاخرة بالمؤلفات ذات المتسوى العالي التي سيؤخذ الأوربيون والأميركان أنفسهم بعذوبة لغتها، وجمال أسلوبها وقوة استدلالها، ولباقة عرضها للمواد، وقدرة مؤلفيها التأليفية والكتابية.

---

(١) مع الاعتراف بمجهوده الكبير وقيمته العلمية والاستفادة منه.

ولكن من الحقائق المؤلمة أن أبدي في هذه المناسبة التاريخية التي تجمع بين خيرة رجالات العلوم الاسلامية، وبين النوابغ في اللغات الشرقية ونقادها، استغرابي العلمي والتاريخي من عدم تحقق هذا الرجاء، ذلك الذي يبعث المؤرخ الأمين الواسع الأفق، الواسع الاطلاع، على العجب العجاب.

ميزة الهند من بين الأقطار المواجهة:

وكانت الهند في طليعة دول المواجهة الاسلامية والغربية، حيث تمكنت بريطانيا ـ أقوى ممثل للحضارة الغربية، والعلوم والثقافة الغربية، وأشد تحمساً لها ـ من بسط سيطرتها السياسية الكاملة على الهند منذ وقت مبكر على حين كانت بلاد أخرى تتأثر بالحضارة والثقافة الغربية عن طريق غير مباشر عن وكالاتها الأدبية والثقافية، إضافة إلى ذلك أسس السيدأحمد خان المرحوم ـ الشخصية القوية المؤثرة ـ فعلاً بعد عام ١٨٥٧م مؤسسة ثقافية في «علي جراه» (Aligarh) باسم «مدرسة العلوم» كان الإشراف عليها ـ عقلياً وثقافياً وخلقياً ـ بأيدي الأفاضل الانجليز المحنكين، أمثال المستر بيك، (Mr. Beek) والمستر موريسون (Mr. Morison) والمستر آرجبولد (Mr. Archibold) وتحولت في ١٩٢١م إلى جامعة، وقد جذبت إليها الشباب الذكي في شبه القارة الهندية ـ من خليج بنغال إلى مضيق خيبر ـ جذب المغناطيس للقطع الحديدية.

رغم ذلك كله كان الشعب الاسلامي الهندي أرهف شعوراً دينياً،[١] وأرق وعياً إسلامياً، وأشد غيرة على الاسلام من البلاد الاسلامية الأخرى، لأسباب لا تعنينا بهذه المناسبة، يدل على ذلك مساهمتهم القوية بعد حركة الخلافة، وحرصهم الشديد على التمسك بحضارتهم الاسلامية العريقة وبشعائرهم الدينية، فكان إنتاجها في هذا المجال أكثر من الانتاج - في اللغات الأجنبية - في أقطار إسلامية أخرى، وإن كان أقل من الواجب المطلوب.

في مجال نقد النصرانية على الأسس العلمية:

وكان من نتائج هذه الغيرة الدينية التي يمتاز بها الشعب المسلم الهندي ومبادرته إلى قبول تحديات التبشير - وبالأصح التنصير - التي وجهت إلى شبه القارة الهندية، بعد قيام الحكم الانجليزي المسيحي، المنتصر الثائر الموتور، أن وضعت أفضل الكتب وأقواها في الرد على المسيحية ونقد العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل) في الهند، فقد واجه الشعب المسلم

---

(١) ومما يدل على ذلك أنه لما ألف حاكم الولاية الشمالية في الهند - وهي كبرى الولايات وأرقاها - السير وليم ميور (Sir William Muir) كتابه الشهير بالانجليزية (Life of Mohamet) (حياة محمد) وكان فيه تحامل على السيرة النبوية ومسخ لبعض الحقائق، لم يتمالك السيد أحمد خان الذي كان من أكبر الدعاة إلى التعلم الحديث الغربي، والاقتباس من الحضارة الغربية، وكانت بينه وبين الحكم الانجليزي ورجاله صداقة وثقة متبادلة، فنهض للرد عليه، وسافر سنة ١٢٨٦هـ، ١٨٦٩م إلى لندن لجمع المواد، وباع لذلك بعض أثاثه ومتاعه، وألف كتابه المشهور «خطبات أحمدية» الذي هو من أحسن كتبه، ولعلها كانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه في العالم الاسلامي، وإن كانت خطوة بدائية تتصف بكل ما تتسم به المحاولات الأولى في البحث العلمي.

الهندي الدعوة المسيحية وجهاً لوجه، وخاض هذه المعركة قبل أن يواجه هذه الدعوة ويخوض هذه المعركة شعب آخر في قطر إسلامي أو عربي.

وقد قيض الله لقيادة هذه الحركة الهجومية - لا الدفاعية - خيرة رجال هيأوا نفوسهم لهذا العمل الخطير الدقيق الذي تشاغل المسلمون عنه (العلماء والمؤلفون) قروناً لعدم توفر الدواعي وما يضطر إلى ذلك، في مقدمتهم وعلى رأسهم العلامة المجاهد الشيخ رحمة الله الكيرانوي (١٢٣٣ - ١٣٠٨ هـ) وقد تهيأت عنده جميع المؤهلات العلمية والجدلية، والوهبية، لإنجاز هذا العمل، إلا معرفة اللغة الإنجليزية، والاطلاع على المصادر الأجنبية بطريق مباشر، هنالك ساق الله إليه مسلماً غيوراً هو الدكتور محمد وزيرخان الأكبر آبادي الذي سافر إلى لندن سنة ١٨٣٢م يدرس الطب الجديد، وقد نال فيه شهادة عالية، وأتقن اللغة الإنجليزية، ودرس اللغة اليونانية، وعني بدراسة المسيحية من مصادرها الأصيلة واقتناء كتبها، واستصحب هذه المكتبة الثمينة إلى الهند فاستفاد بها الشيخ كل الاستفادة، وهنالك قرر مناظرة القس فندر (Dr. C. G. Pfander) الذي تحدى علماء المسلمين في العالم الاسلامي، وألف كتابه «ميزان الحق» وظن أن لا قبل للمسلمين به[1]، وقامت هذه المناظرة التاريخية في / ١١ من رجب سنة ١٢٧٠ هـ

(١) صدرت للكتاب الطبعة الثامنة باللغة الفارسية سنة ١٨٤٩م من آكره، والطبعة الثالثة باللغة الأردية سنة ١٨٥٠م، والترجمة الانجليزية سنة ١٩١٠م.

(١٠/ من إبريل ١٨٥٤). في أكبر آباد آكره إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية، وأحد مجالات النشاط التبشيري في الهند، وفي حي من أحيائها المعروف بحارة «عبد المسيح[١]»، وحضرها ولاة المديرية، وموظفوا الثكنة الإنجليزية من الإنجليز، وعدد كبير من أعيان البلد ووجهائه، أسفرت هذه المناظرة عن اعتراف «القس فندر» بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل، وتزايد عدد الحاضرين في الغد، وازداد عدد الحكام الانجليز والمسيحيين والهنادك والسيخ، وظهر ضعف «فندر» في المناظرة وتعنته، ولم يرجع القس إلى المناظرة في اليوم الثالث وأصبح شعاراً له أنه إذا علم بوجود الشيخ في مكان غادره.

وقد ألف الشيخ رحمة الله كتابه «إظهار الحق[٢]» على اقتراح الخليفة العثماني السلطان عبدالعزيز والصدر الأعظم خير الدين باشا، وكان الشيخ قد هاجر إلى مكة المكرمة عقب ثورة ١٨٥٧م وزار القسطنطينية سنة ١٨٦٤م على طلب من خليفة المسلمين، فألفه في الآستانة سنة ١٢٨٠هـ، وقد آثر في هذا الكتاب خطة الهجوم كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، واعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة والبديهات الجلية من الأخطاء

(١) لعلها باسم متنصر تسمى بهذا الاسم النصراني.

(٢) وللشيخ رحمة الله ثلاثة كتب أخرى في نقد النصرانية، وإثبات الاسلام وهي «إزالة الأوهام» و «إزالة الشكوك» و «أصح الأحاديث في إبطال التثليث».

التي لا تقبل التأويل، واستخرج منها نتائج كنتائج رياضية لا يختلف فيها اثنان، ووضع عقيدة التثليث في النصرانية على محك العقل، ونقدها نقداً علمياً، وأضاف إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم وإثبات أنه كلام الله. والسيرة النبوية، وذكر المعجزات والبشارات التي وردت في شأن النبي ﷺ، نقل الكتاب إلى عدة لغات أوربية، وقد كتبت كبرى صحف إنجلترا (London Times) تعليقاً على هذا الكتاب، «لو دام الناس يقرؤن هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم[1]»

وألف علماء مسلمون آخرون في الهند كتباً ذات قيمة علمية ونقدية كبيرة في الرد على المسيحية، ونقد «الكتاب المقدس»، منهم العلامة السيد آل حسن الموهاني (١٢٨٧هـ) صاحب كتابي «الاستفسار» و «الاستبشار» والشيخ عنايت رسول الجرياكوتي (١٣٢٠هـ) صاحب كتاب «البشرى» (وكان قد درس اللغة العبرانية وأتقنها).

وساهم في هذا العمل الشيخ عبدالحق الحقاني صاحب التفسير المشهور باسمه، والشيخ محمد علي المونجيري مؤسس ندوة العلماء، والقاضي محمد سليمان المنصور فوري، والسيد نواب علي اللكنوي صاحب كتاب «تاريخ الصحف السماوية» ومولانا ثناء الله الأمر تسري.

---

(١) ملخصاً من تقديم صاحب المقال لكتاب «إظهار الحق» طبعة قطر، سنة ١٩٨١م.

وهكذا تكونت أكبر مكتبة وأكثرها قيمة علمية في الرد على النصرانية في الهند، لأسباب دعت إلى ذلك ولشدة غيرة المسلمين على دينهم، وصمودهم أمام هجمات الديانات الأخرى الدعوية والعلمية.

حصاد قرن كامل:

لو اعتبرنا بداية العهد فيما يتصل بإقبال الشعب المسلم الهندي على اللغة الإنجليزية، والعناية بتعلمها وتحصيلها، عام ١٨٧٥م، حيث أسست «مدرسة العلوم» في «علي جراه» ونسقط من الحساب عام ١٧٥٧م، حينما ذاق المسلمون هزيمة شاملة على يد الاستعمار الانجليزي، وكانوا مذعورين بفعل الغزو والفتح الإنجليزي المتتابع، ونعتبر النهاية سنة ١٩٨١م، وقد أنجبت خلال هذه المدة كلية (M. A. O. College) والجامعة الإسلامية فيما بعد رجالاً كانوا يتميزون بغيرتهم الإسلامية وحميتهم الدينية، واقتدارهم على اللغة الإنجليزية كأبنائها، وجدنا كتباً مؤلفة باللغة الإنجليزية هي قليلة العدد بالنسبة إلى مدة أكثر من قرن، ولكنها كبيرة القيمة وكثيرة العدد بالنسبة إلى أقطار إسلامية أخرى.

بعض مؤلفات الكتاب الهنود المسلمين الإنجليزية الممتازة:

ونجد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وأوائل القرن

العشرين مؤلفين باللغة الإنجليزية يضعون في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كتباً يؤخذ برشاقة لغتها أبناء اللغة الإنجليزية أنفسهم، ويستقطبون اهتمام الغرب بغناء مقالاتهم وقيمة موادها وجمال عرضها، على رأسهم وفي مقدمتهم السيد أمير الذي ألف كتابه (The Spirit of Islam) (روح الإسلام) الذي لا يسعنا أن نتفق مع جميع الأفكار والآراء التي أودعها فيه، ولكنه أثار الإعجاب والتقدير في الأوساط العلمية والأدبية في إنجلترا، وأرغم عدداً وجيهاً من المثقفين الانجليز الأفاضل على الاعتراف بصدق الإسلام وحقيقته، وقد قال عنه المستشرق آسبورن (Osborn) :

«إن هذا الكتاب يستحق الإعجاب حقاً، وقد كتب بأسلوب يدل على ملك كاتبه لناصية اللغة الإنجليزية، أسلوب قل من يستطيع أن يجاريه من الإنجليز المثقفين، أسلوب خلا من العيوب التي وقع فيها مثقفو الهنود... ويجب أن يهنأ مسلمو الهند بأن يكون منهم من بلغ هذه الدرجة، ومن المستحيل على من فاتحة أعماله هذا الكتاب ألا يكون له في مستقبله أثر فعال عميق في قوته، أما موضوع الكتاب فإننا نخالفه في كثير من مسائله، وسنعرض وجهة نظرنا ووجهة خلافنا فيما بعد»[١].

---

(١) «زعماء الإصلاح في العصر الحديث» للدكتور أحمد أمين ص ١٤٠.

وقد ظل كتابه (A Short History of The Saracens) (تاريخ العرب المختصر) موضع القبول والعناية إلى مدة طويلة بفضل سلاسة لغته، ورشاقة كتابته، وما يتسم به من الاعتدال والاتزان.

والمؤلف الثاني المسلم الذي تجاوزت شهرته الهند، هو «صلاح الدين خدابخش» الذي نقل عدداً من الكتب في الموضوعات الاسلامية من الألمانية إلى الانجليزية. أما كتبه التي وضعها بالانجليزية فمن أشهرها المجلد الثاني من كتاب (Contribution to the History of Islamic Civilization)[1] (مساهمة في تاريخ الحضارة الاسلامية) وكتابه (Essays, India-Islamic)[2] (مقالات في الهند والاسلام).

ولكن المؤسف أن كثيراً من آرائه نال معارضة من المثقفين الذين كانت لديهم معرفة صحيحة بالإسلام وبتاريخه.

وكانت سمة كتابات الكتاب المسلمين بالإنجليزية في هذه الردحة من الزمن (أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين) البارزة، الإعجاب الزائد بالغرب، وبالفلسفة الغربية، والعلوم الطبيعية، التي كانت لاتزال إلى هذا العهد تقطع مراحل الطفولة، والتأويل البارد المتطرف للحقائق الغيبية والمعجزات النبوية، وأنباء ما وراء العقل، والمحاولات المتكلفة

(١) طبع جامعة كلكته، ١٩٣٠م والمجلد الأول ترجمة كتاب وان كريمر (Von Kremer) من الألمانية.

(٢) تأليف ١٩١٢م.

للتوفيق بينها وبين المعلومات العصرية، والمبادي الطبيعية، والتوفيق بين روح الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية، أضف إلى ذلك كله أن اكثر هذه الكتب قد وضعت بالأساليب الدفاعية الاعتذارية (Apologetic)

وبعد هؤلاء المؤلفين إن كان هناك من المؤلفين باللغة الإنجليزية من يجدرون بالذكر بفضل علو كعبهم وقيامهم بعمل تأليفي وكتابي قيم، استرعى انتباه العالم، واستفاد منه رجال العلم في أوربا، وأحالوا عليه في مؤلفاتهم وكتاباتهم فهما العلامة محمد إقبال صاحب كتاب «الصياغة الجديدة للفكر الديني في الإسلام»[١] Reconstruction of Religious Thought in Islam . الذي هو مجموع محاضراته التي ألقاها بمدينة «مدراس» بالهند، مما يبعث على التفكير الجديد، ويزخر بالمواد القيمة - رغم بعض الآراء الشاذة التي يتضمنها، والتطرف الفلسفي في تفسير بعض العقائد والحقائق الدينية،[٢]، وقد أعاره رجالات الفكر في أوربا أهمية بالغة، واقتبسوا منه في كتاباتهم، كما لقي ما قام به العلامة عبدالله يوسف علي من ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، إعجاباً كبيراً وقبولاً نادراً بفضل نقاء لغتها وحلاوة موسيقاها، وقوة عرضها وجمال أسلوبها - في أوربا

(١) وقد نقله إلى العربية باسم «تجديد الفكر الديني في الإسلام» الأستاذ عباس محمود، وطبع في مصر، كما ترجم الكتاب إلى اللغة الأردية.

(٢) وقد اعترض على ذلك العلامة السيد سليمان الندوي. ونبه عليه صاحب هذا المقال في مقدمة كتابه «روائع إقبال»

وأميركا، وظهرت لهذه الترجمة طبعات كثيرة في باكستان، والمملكة العربية السعودية، والبلاد الإسلامية وغير الاسلامية الأخرى أيضاً.

وكذلك عرفت الترجمة الانجليزية للقرآن الكريم التي قام بها (M. M. Pickthall) بفضل عذوبة لغتها وأسلوبها وخصائصها التي تتميز بها، وقد قوبلت بحفاوة وتحبيذ وإقبال، على أنها لا تخلو من الأغلاط.

وسيكون من الإجحاف وغمط الحقوق - ونحن في سبيل الحديث عن التراجم الانجليزية للقرآن الكريم - أن لا أتعرض لقيمة ترجمة معاني القرآن الكريم بالانجليزية للأستاذ الكبير المرحوم عبدالماجد الدريابادي - الكاتب الأردي الكبير - وقيمة هذه الترجمة في الواقع هي تلك التعليقات الغنية التي هي نتيجة دراسة موسعة عميقة للديانات وللمصادر اليهودية والمسيحية، وقد استخدم الأستاذ هذه الدراسة لتقرير حقيقة ما يتضمنه القرآن من حقائق وعلوم، ولإثبات إعجازه وتأكيده، الأمر الذي يتميز به الأستاذ المغفور له من بين جميع المترجمين المعاصرين، ومن المؤسف أن هذه الترجمة لم تقدر حق قدرها، وما أولتها الأوساط العلمية من العناية ما تستحقه [١].

---

(١) وقد قام بنشر هذه الترجمة شركة تاج Taj Company وأصدرت طبعتها الأولى، ويقوم المجمع الإسلامي العلمي في ندوة العلماء مسروراً ومشكوراً باصدار الطبعة الثانية المنقحة لهذه الترجمة.

عمل الجماعة الأحمدية في مضمار التأليف والدعوة:

وقد كان للجماعة الأحمدية التي كان يقودها ويرأسها الأستاذ المعروف بمولانا محمد علي اللاهوري[١] نشاط ملحوظ في تأليف كتب في الانجليزية للتعريف بالاسلام، والسيرة النبوية، تحل من الطبقة المثقفة الجامعية في الهند وغيرها، محل القبول والرضا في لغة إنجليزية لا بأس بها وبالأسلوب العصري، كان في طليعة هؤلاء المؤلفين الأستاذ محمد علي اللاهوري المذكور رئيس الفرع، فأصدر ترجمة معاني القرآن الكريم بالانجليزية.

وقد أقبل على قراءتها عدد كبير من المثقفين الجدد في الهند وخارج الهند، وهي تحمل تفسيراً وتعليقات بقلمه، وشغف بها كثير ممن لم يتعمق في الفهم الديني، ولم يجد من الكتب الاسلامية الموضوعة في ذلك العهد في اللغة الانجليزية ما يسد حاجته ويرضي نهامته للقراءة، إلا أن تفسيره وتعليقاته على هذه الترجمة يغلب عليها اتجاه تفسير المعجزات والأمور الغيبية بالأمور الطبيعية والحوادث العادية، إلى حد التطرف والإغراق، ولو أبى ذلك اللغة العربية واللفظ الصريح، ويغلب

(١) وهو رئيس الفرع اللاهوري المنشق عن الجماعة القاديانية (التي تؤمن بنبوة المرزاغلام أحمد في صراحة ووضوح) ويؤمن هذا الفرع بأن المرزا غلام أحمد كان مجدداً للقرن الرابع عشر، والمصلح الأكبر، ويعتقد أنه المسيح الموعود، وعلى ذلك تلتقي الطائفتان، ويعتبرهم جميعاً المسلمون أقلية غير مسلمة، وعلى ذلك صدر القرار الرسمي من باكستان. راجع للتفصيل كتابنا «القادياني والقاديانية» فصل الفرع اللاهوري.

عليه الخضوع الزائد للمقررات الطبعيـــة التي كانت لاتزال في دور التحول والتطور[1]، وله كتاب في السيرة النبوية باسم (Muhammad the Prophet) قرىء في شبه القارة الهندية وخارج الهند في نطاق واسع، وأعجب به الشباب المثقف وأساتذة الجامعات، الذين لم يكونوا يجدون كتاباً آخر في السيرة، يكشف لهم عن عظمة النبوة المحمدية والرسالة الاسلامية، ويصور لهم البيئة والملابسات التي جاءت فيها، وعن دورها في الإصلاح، ويوجز لهم الحوادث التي مرت في الحياة الكريمة، وذلك كله يدل على ضرورة وجود الكتاب الاسلامي الذي يشبع به الناشئون والمثقفون رغبتهم في معرفة الاسلام وصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، فاذا لم يجدوا الشيء الكامل المثالي أشبعوا رغبتهم من الشيء الموجود الميسور.

ويلي الأستاذ محمد علي اللاهوري زميله وقرينه الداعية الاسلامي المعروف في إنكلترا والخطيب المصقع بالانجليزية خواجه كمال الدين صاحب كتابي (The Ideal Prophet) (النبي المثالي) و (Sources of Christianity) (منابع المسيحية) وقد

---

(١) اقرأ أمثلته ونماذجه العجيبة في كتابنا «القادياني والقاديانية» في الفصل الثالث «الفرع اللاهوري عقيدته وتفسيره»

ومن الحقائق العلمية والتاريخية التي يجب أن تسجل أن الزعيم السيد أحمد خان رائد التعليم الغربي في الهند، ومؤسس الجامعة الاسلامية في علي جراه، هو الذي شق هذا الطريق وسبق إليه في تفسيره للقرآن، وكل من جاء بعده اقتطف منه، وسار على منهجه، وفاق عليه في كثير من الأحيان كما هي العادة في مثل هذه الاتجاهات.

كان على نفس شاكلة صديقه وأميره الأستاذ محمد علي في الاعتقاد في المرزا غلام أحمد وإجلاله له، وهو صاحب مركز (Woking Mission) في لندن.

المؤلفون المعاصرون:

وإذا صرفنا النظر عن هذه الطبقة، فالذي طبق صيت عمله العلمي الشرق والغرب، إنما هو صديقنا الفاضل الدكتور حميد الله الحيدرآبادي الهندي النزيل حالياً «بباريس» وهو صاحب الترجمة الفرنسية لمعاني القرآن الكريم التي نالت قبولاً واعتماداً في الأوساط العلمية الفرنسية، وأخص بالذكر من مؤلفاته بهذه المناسبة كتابين، الأول (التعريف بالإسلام) (Introduction to Islam)، والثاني «محمد رسول الله» (Mohammad Rasoolullah) الكتابان اللذان عن طريقهما استطاع آلاف المسلمين الناطقين باللغة الانجليزية وحدها أن يعرفوا ويفهموا الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم، لكن الذي يدل على جلالة شأنه، وطول باعه، وسهره على البحث والتحقيق، والجهود المضنية وإعمال التفكير الطويل، هو كتابه «صحيفة همام بن منبه» Sahifa Hammam Bin Munabbih الذي أكد فيه بحجج لامعة أن عملية جمع الحديث وتدوينه قد بدأت في عهد النبوة ذاته، ودامت مستمرة حتى عهد أصحاب الصحاح والسنن، ولا تتخللها فترة أو فجوة زمانية، وقد قام الأستاذ من خلال وضع كتابه هذا بخدمة قيمة لا للحديث فحسب، بل

للإسلام، تستوجب الاعتراف والتقدير والشكر من أبناء الاسلام.

ولا يسعنا أن نغض البصر عن خدمات الأستاذ الدكتور مصطفى الأعظمي، في هذا الصدد، الذي أيد رأي الدكتور حميد الله بوثائق تاريخية، وقام بتصعيد عمل الدكتور من خلال الكتاب الذي وضعه باسم (Studies in-Early Hadith Literature) وعضد الدعوى بتفصيل أكثر، ودليل أقوى، ويعد كتاب الأستاذ ايم - اي شوستري (Outlines of Islamic Culture) وتأليف الدكتور برهان أحمد فاروقي (The Mujaddid's Conception of Tauhid) إضافة قيمة إلى المكتبة الاسلامية.

ولا بأس بأن ندرج في قائمة المؤلفين باللغة الإنجليزية على المواضيع الاسلامية - مع الاعتراف والتقدير - الحافظ غلام سرور، والدكتور السيد عبداللطيف الحيدر آبادي اللذين قاما بترجمة القرآن باللغة الإنجليزية بالإضافة إلى أعمالها الأخرى، وسير أمين جنك، والدكتور مير ولي الدين، والدكتور عبد المعيد خان، والأستاذ ظهير الدين الفاروقي[١] والسيد مظفر الدين الندوي[٢] والحاج مولانا فضل الكريم، والسيد أطهر

---

(١) له كتاب جيد عن الامبراطور أورنك زيب عالمكير الملك المسلم الذي احتدم النقاش حوله واتخذ غرضاً للهجوم والاتهامات في الأوساط المندكية الطائفية ومؤلفات المؤرخين الهندوس والانجليز، واسم كتاب الأستاذ الفاروقي (Aurangzeb & His Age) «أورنك زيب، وعصره»

(٢) هو صاحب كتاب (Muslim Thougt & Source) «الفكر الإسلامي ومصدره»

حسين، والسيد محيي الدين، لكن ذلك كله لا يغطي المساحة الزمانية التي تمتد على قرن كامل، وتبتدىء من ١٨٧٥م وتنتهي إلى ١٩٨١م.

بعض مؤلفات الكتاب «المهتدين» القوية:

ومما يبعث على العجب، ويدل على قوة الإسلام وإعجازه، وقدرته على الغزو العلمي، أن رجلاً حديث العهد بالاسلام وضع كتابين باللغة الإنجليزية، هما من أحسن الكتب التي تبعث الإيمان، وتشحذ الروح، وتغذي القلب، وتفيض بروح الثقة والاعتزاز، أعني محمد أسد الذي كان يتسمى قبل أن يتشرف بالاسلام، (Leopold Weis) وهو ألماني ينحدر من سلالة يهودية، وقد أثار كتابه الأول «الاسلام على مفترق الطرق» (Islam At The Cross Roads) اليقظة الفكرية، وروح الثقة واليقين عبر العالم الاسلامي، لا عبر آسيا فحسب، فلا نعلم كاتباً ولا كتاباً منذ عهد بعيد يدافع عن السنة النبوية، والحضارة الإسلامية، هذا الدفاع القوي الذي يقوم به هذا الكتاب، كما أنه لا نجد كاتباً أوربياً تحدث عن نقط الافتراق والاختلاف فيما بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية في هذا الوضوح والتفصيل والدقة، وتناول الحضارة الغربية بهذا النقد اللاذع المر المدعم بالدلائل والوثائق، وقد وضع الأستاذ محمد أسد هذا الكتاب خلال إقامته بالهند، وقد نقله

الأستاذ عمر فروخ إلى اللغة العربية باسم « الاسلام على مفترق الطرق » وظهرت له طبعات .

أما كتابه الثاني فهو (Road to Mecca) الذي استقبل في أوربا وأميركا بحفاوة وإقبال، وقرىء بشوق ورغبة، تحدث فيه المؤلف عن فضل الحضارة الإسلامية، وشمولية الإسلام وعظمته بلباقة وقدرة، وحاول محاولة موفقة - من خلال تصوير جزيرة العرب والمجتمع الاسلامي، ومجتمعات الدول الاسلامية تصويراً دقيقاً - أن يثبت فضل المجتمع الاسلامي والحضارة الإسلامية في أذهان الأميركان والأوربيين في طي الحديث عن التجارب التي مر بها في رحلته الصحراوية وأثناء القيام « بمهنته الصحافية » التي من أجلها تجشم هذا السفر الطويل الخطر، وذلك كله في ثوب قشيب من لغته الأدبية الرفيعة، ونقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية باسم « الطريق إلى مكة » وترجمه إلى اللغة الأردية فقيد الدعوة الاسلامية المرحوم الأستاذ محمد الحسني على سماح من المؤلف ونشره المجمع الاسلامي العلمي بلكهنؤ[١]، وظهرت ترجمته إلى اللغة الهندية أيضاً .

ولا يمكن التغاضي بمناسبة الحديث عن المؤلفات الانجليزية، على المواضيع الاسلامية التي دبجها قلم السيدة مريم جميلة الحديثة

---

(١) بعنوان « طوفان سي ساحل تنك » مع مقدمة لصاحب هذا المقال .

العهد بالإسلام، وهي امرأة أمريكية فاضلة، مثقفة ثقافة واسعة، كانت تعرف قبل أن يكرمها الله سبحانه بالاسلام بـ (Margaret Marcus) إن كتاباتها تتأسس على دراسة عميقة لتاريخ الحضارة الغربية وانطلاق وتحرر كامل عنها، بل وثورة شاملة عليها، وكتاباها (Islam versus the West) «الإسلام إزاء الغرب» و (Islam & Modernism) «الإسلام والتجدد» من أهم الكتب التي تمتاز بأصالة الفكر والدراسة، وعمق النظر، وتنم عن الفهم الإسلامي والاستقلال الفكري في نقد الحضارة الغربية، وتقييم حركات التجدد والتغريب.

المجمع الإسلامي العلمي وإنتاجه:

ومن أحدث المجامع العلمية سناً وأكثرها إنتاجاً (وخاصة في اللغة الانجليزية) «المجمع الأسلامي العلمي[1]» في ندوة العلماء بلكهنؤ، الذي قام في سنة ١٩٥٩م، وكان المقصود من هذه المؤسسة إعادة الثقة في الشباب المسلم المثقف بجدارة الإسلام، ليس للبقاء والاستمرار، بل لقيادة الركب البشري، وحل المعضلات العصرية، والإيمان الجديد القوي بصاحب هذه الرسالة - ﷺ - وبأنه هو «خاتم الرسل» وإمام الكل، ومنير السبل، وسيرته وتعاليمه، والدراسات المقارنة، والبحوث العلمية التي تجمع بين التعبير الصحيح عن الإسلام، وإقناع

(١) ويعرف بالانجليزية باسم (The Academy of Islamic Research & Publication)

العقل الجديد، وقد بدأ كنواة صغيرة بإمكانيات محدودة، لا تتصور لمثل هذا المشروع العلمي الأكاديمي الواسع، وقد قام في فترةٍ تقلّ عن ربع قرن بنشر ١٥٥ كتاباً في لغات مختلفة، منها خمسون (٥٠) في الانجليزية، وأكثر من ستين (٦٠) في الأردية، وسبعة وثلاثون (٣٧) في العربية وستة (٦) في اللغة الهندية.

ومن أجدر مطبوعاته بالذكر ترجمة كتاب «السيرة النبوية» لصاحب هذا البحث، باسم (Mohammad Rasulullah) - وكتاب «الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة والدراسة المقارنة» باسم (Four Pillars of Islam) وترجمة كتاب «الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية» باسم (Western civilization Islam and Muslims) وترجمة كتاب «الصراع بين الايمان والمادية» باسم (Faith versus Materialism) وكتاب «بين الدين والمدنية» باسم (Religion & Civilization) وكتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» باسم (Islam & the World) وسلسلة كتب «رجال الفكر والدعوة في الاسلام» باسم (Saviours of Islamic Spirit) (١-٢-٣) وترجمة كتاب «القادياني والقاديانية» باسم (Qadianism a critical study) و «نظرة على حياة المسلم» باسم (The Musalman) -

وهذه الكتب كلها بقلم صاحب هذا المقال، أما لغيره فقد

نشر المجمع ترجمة كتاب « خطبات مدراس » « الرسالة المحمدية » للعلامة السيد سليمان الندوي ، باسم (Muhammad - The Ideal Prophet) وكتاب في الخلفاء الراشدين للسيد أطهر حسين ، باسم (The Glorious Caliphate) وسلسلة كتب « معنى الحديث ورسالته » للعالم الشهير الشيخ محمد منظور النعماني منشيء مجلة « الفرقان » (Meening and Message of the Traditions) وكتاب « ما هو الاسلام؟ » (What Islam is?) وكتاب « الدين والشريعة » باسم (Islam, Faith and Practice) وكتاب « بماذا يحدث القرآن؟ » له أيضاً باسم (The Quran And You) ورسالة القرآن (The Messag of Quran) للسيد أطهر حسين .

هذا ما عدا كتب في التاريخ والأدب كترجمة كتاب « روائع إقبال » باسم (Glory of Iqbal) وكتاب « الهند في العهد الاسلامي » للعلامة السيد عبدالحي الحسني باسم (India During Muslim Rule) و « هندوستاني مسلمان » باسم (Muslims in India) وكتاب في سيرة الامام السيد أحمد الشهيد ، وحركته الاصلاحية والجهادية الكبيرة باسم (Saiyid Ahmad Shahid) للسيد محي الدين، عدا مجاميع محاضرات ألقيت في أوربا وأميركا ، كحديث مع الغرب باسم (Speaking Plainly to the West) وأحاديث صريحة في أميركا باسم (From The Depth of Heart in America) .

وقد اقتصرنا على الكتب التي نشرت في اللغة الانجليزية وقد كان للدكتور محمد آصف القدوائي، والسيد محيي الدين الفضل الكبير في نقل أكثر هذه الكتب إلى اللغة الانجليزية الأدبية العصرية[١]، وقد كان للدكتور محمد آصف القسط الأوفر في هذا العمل العلمي الأدبي[٢]، وقد نالت هذه الكتب والترجمات رضاً وإعجاباً في الأوساط العلمية والدعوية وفي القارات الثلاث أوربا، وأميركا، وأفريقيا، ولايزال لها طلب وعليها إقبال في هذه القارات يصعب على المجمع الاسلامي العلمي ـ بامكانياته المحدودة ـ تحقيقه ومسايرته.

الانتاج العلمي التحقيقي الكبير في اللغة الأردية:

هذا كل ما تحدثت عنه من الانتاج العلمي أو العمل الأكاديمي في مقاصد إسلامية وموضوعات علمية، الذي تم في القرن العشرين الميلادي، وكان كله أو جله برز إلى الوجود في شبه القارة الهندية قبل التقسيم، إلا النزر القليل الذي تم بعده، إنما يختص باللغة الانجليزية.

أما إذا تخطينا حدود اللغة الانجليزية، فأخذنا اللغة الأردية بعين الاعتبار، اللغة التي كانت ولا تزال اللغة العلمية الراقية الثانية بعد اللغة الانجليزية، ولغة التأليف والتفاهم بين المسلمين

(١) يستثنى من ذلك كتاب (Qadianism) فإنه من ترجمة الدكتور ظفر اسحق الانصاري.

(٢) قال لي بعض أدباء الانجليزية أن ترجمة كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» بالانجليزية مثال رائع للترجمة، قل ما يوجد له نظير.

بصفة عامة، ولغة التعارف في الولايات الهندية، والتي يدرسها ويفهمها عدد لا يستهان به من المثقفين الهنادك، فمما يجب الاعتراف به وتسجيله للتاريخ والأجيال الصاعدة، أن الإنتاج العلمي المؤسس على الدراسة العميقة، والجدية والأصالة، وغزارة المادة والقيمة العلمية، كان أضخم وأعظم فيها من كل لغة من لغات العالم الاسلامي، وكان للعلماء المتخرجين في «المدرسة (بأوسع معانيها) الدينية الشرقية العربية» الدور القيادي في هذا النشاط العلمي والفكري واليقظة الاسلامية والجهاد المعنوي الذي كان في بعض الأحيان أفضل الجهاد في هذا الصراع الفكري والقلق النفسي الذي كان يعانيه الشباب المسلم الجامعي، بل في زمن الردة الفكرية والحضارية - والردة العقائدية في بعض الأحيان - التي كانت تغزو شبابنا المتخرج من الجامعات الأوربية، بل الجامعات الهندية كذلك، نقول ذلك في ضوء الدراسة المقارنة المحايدة الدقيقة، وفي ضوء الواقع والشهادات.

العلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي ومجمع «دار المصنفين»:

ويسعدني ويحلو لي أن أقول ذلك وأعلنه في مكان كان له ولمؤسسه العظيم وزملائه الفضلاء وتلاميذه النجباء فضل الانتباه لأهميته وخطره وضرورته، والدعوة إليه والبدء به، أعني «دار المصنفين» التي نلتقي على صعيدها، ونعقد هذه الندوة العلمية

العالمية فيها، وكان أول مجمع علمي تحقيقي شعبي أنشيء في العالم الاسلامي (في حد معلوماتنا) لمواجهة خطر الغزو الفكري وكتابات المستشرقين المغرضة، ولإقناع الشباب المثقف بفضل تعاليم الاسلام، والتعرف بالشخصية النبوية الجليلة وبسيرتها والجيل الذي تربى في أحضانها، وبقيمة الثروة الاسلامية العلمية.

ولما أصدر الاستاذ جرجي زيدان كتابه المشهور «تاريخ التمدن الإسلامي» من مصر في أوائل القرن العشرين كان له دوي في الأوساط العلمية، وقد كان في كتاب جرجي زيدان - رغم غزارة المادة ووفرة المعلومات - تجن على الخلفاء الأمويين والعباسيين وتحريف لبعض الحقائق التاريخية، وإعادة لأسطورة إحراق مكتبة الإسكندرية الخرافية، ثارت في العلامة النعماني الحمية الإسلامية ولم يمنعه ثناء المؤلف عليه وإشادته بذكره[١]، ولا بعد المكان، عن تناوله بالنقد العلمي المدعم بالدلائل والوثائق، وألف كتاب «الانتقاد على التمدن الإسلامي» بالعربية سنة ١٩١٢م وتلقته الأوساط الإسلامية العلمية في الهند ومصر بالشكر والرضى والقبول[٢]

وقد خلفت مدرسة شبلي التأليفية آثاراً لامعة من البحث

---

(١) الجزء الثاني من كتاب تاريخ التمدن الاسلامي مقدمة الطبعة الأولى ص ٢٦٠

(٢) صدر الكتاب من مطبعة آسي بريس لكهنؤ طبع الحجر في ٨٢ صفحة من القطع الكبير.

والتحقيق، والدراسة المضنية، والاتزان الفكري، وسداد الرأي، وإصابة التفكير، والتعمق والإمعان، بجانب سعة الاطلاع ووفرة المعلومات - فيما يتصل بالمباحث والدراسات الإسلامية الأولى - وللمتخرجين فيها الدور الطليعي في ذلك، لأنهم حازوا قصب السبق فيه، فقد اختاروا من الأساليب اللغوية والمناهج الأدبية والبيانية ما يتفق مع المباحث العلمية الجادة كل الاتفاق ويوجد فيها من الحلاوة الأدبية والكتابية، والرشاقة الإنشائية - بكميتها الصحيحة ونسبتها المعتدلة - ما كان لا بد منه لاستقطاب الشباب والجيل المعاصر الذي نشأ وتربى في المحيط الأدبي، والبيئة المولعة بانتقاء اللغة، وتنقيح مناهج الكلام إلى أمثال تلك المباحث العلمية والتاريخية الجافة، وقد كان لكتاباتهم فضل كبير في إعادة الثقة إلى الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية العصرية من أبناء الإسلام بالعقائد والمقررات الدينية، وبالحضارة والثقافة الإسلامية، وبتاريخهم الزاهر، وبلغتهم وآدابهم، وفي إحياء الاعتداد بالنفس والثقة بالذات، وإزالة «مركب النقص» الذي أحدثته الهزيمة في الصراع مع الاستعمار الانجليزي في ١٨٥٧م، وأصلته الثقافة الغربية، والغزو الفكري الأوربي.

ثم إن كتاباتهم تتميز بالأصالة (Originality) والنزاهة والتجرد - إلى حد كبير - من «التطرف» وسوء الفهم، ذلك الذي ينشأ طبيعياً من الدراسة غير المباشرة، ومن المعلومات

الحاصلة بالوساطة وبطريق غير مباشرة، والذي وقع - ولا يزال يقع - فريسته المستشرقون ورجالات العلم والبحث في أوربا، وتلاميذهم في الشرق والغرب.. وذلك بفضل تعمق هؤلاء العلماء والمؤلفين في اللغتين العربية والفارسية، وتحصيلهم للعلوم الإسلامية، وتخرجهم فيها بطريق منظم، واطلاعهم المباشر على المصادر والمراجع الإسلامية الأصيلة، واقتدارهم على الاستفادة منها، والرجوع إليها متى شاؤوا.

وكان من أكبر مآثر العلامة شبلي النعماني صاحب فكرة «دار المصنفين» ومشروعها[1]، البدءُ بتأليف سيرة النبي على صاحبها الصلاة و السلام في إطار أوسع وفكرة أشمل وأكمل، مما جرى عليها مؤلفو السيرة في الزمن القديم والحديث، وقد وسعها ومدها تلميذه وخليفته النابغة العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي، فأكملها في سبعة أجزاء، الجزء الأول من هذه السلسلة بكامله بقلم العلامة شبلي النعماني، والجزء الثاني فيه زيادات من تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي، والأجزاء الباقية كلها بقلمه السيال وبيانه السلسال، وتفصيله أن المجلد الثالث يتعلق بالدلائل والمعجزات، والرابع

(١) كانت «دار المصنفين» (المجمع العلمي التحقيقي) أمنية العلامة شبلي النعماني العزيزة، وقد خطط ووقف لها أرضا من ملكه، ولكن لم يمهله الأجل، فقام بإنشائها وإبرازها إلى حيز الوجود تلميذه وخليفته العلامة السيد سليمان الندوي في نوفمبر ١٩١٤م.

وكان العلامة حميدالدين الفراهي (عبدالحميد الفراهي) رئيسها الأول، وكان الشيخ مسعود علي الندوي مديرها العام والمسئول عن المكتبة والامور الادارية.

خاص بمنصب النبـوة، ويبحـث عـن حقيقـة منصـب النبـوة وخصائصها وعن واقع العالم المتمدن والجزيرة العربية عند البعثة، ويبحث في العقائد الإسلامية في تفصيل، والخامس خاص بالعبادات البدنيه والمالية والقلبية، والجزء السادس يشتمل على التعليمات الخلقية وفلسفة الأخلاق في الإسلام، وهو من البحوث التي تعتبر من مزايا هذا الكتاب، أما السابع الأخير فيبحث عن المعاملات والساسـة، وهكـذا أصبـح الكتـاب، موسوعة في السيرة وتعاليمها وآثارها .

ومنها كتاب العلامة النعماني في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المعروف « بالفاروق » الذي يعد من الآثار الأدبية الخالدة، ومثالا للانشاء البليغ القوي، الذي غرس في قلوب كثير من الشباب المسلم المثقف بالثقافة الغربية، حب الاسلام وبذور الإيمان، وأصبح حافزاً لهم على الصمود أمام الهجمات الغربية، الفكرية والحضارية، وعرض نموذجاً عصرياً راقياً - كان المثال المحتذى - في تأليف سير الرجال والعظماء، وذلك في كتبه « الغزالي » و « جلال الدين الرومي » و « المأمون » و « الإمام أبو حنيفة النعمان » وصاغ تلاميذه التاريخ الإسلامي الذي كاد يكون مهجوراً أو مطموراً في بطون الدفاتر، صياغة جديدة تتفق مع الأسلوب العصري والمنهج الفكري الجديد، وذلك في ضمن كتب « أسوة الصحابة » و « سير المهاجرين » « وسير الأنصار » و « سير التابعين » وغيرها .

وإذا كانت قيمة بحث علمي وكتاب جليل تتمثل في مواده، وغنائه بالمعلومات المستندة إلى الدلائل العلمية القوية، المبنية على التحليل والاستعراض، المنتقاة من الوثائق والشواهد والحجج اللامعة، فإنه يمكن القول بكل تأكيد، أن «شعر العجم» للعلامة شبلي النعماني في تاريخ الشعر الفارسي وتحليله ونقده، وتراجم شعراء إيران، وكتابيه «الجزية في الاسلام» و «حقوق الذميين» اللذين يبحثان في حقيقة الجزية الإسلامية وحقوق الذميين وواجباتهم في الإسلام، وكتابيه القيمين «مكتبة الإسكندرية» و «نظرة على أورنك زيب عالمكير» اللذين يدحضان الافتراءات المتداولة لدى الخاصة والعامة، ويكشفان اللثام عن الحقائق التاريخية الناصعة[1]، إن هذه الكتب من أعلى نماذج كتابة التاريخ والنقد العلمي، والدراسة التحليلية.

ثم يأتي بعد ذلك دور العلامة السيد سليمان الندوي أنبغ تلاميذ العلامة شبلي النعماني، ومن كبار أبناء ندوة العلماء ونوابغها، فيضع كتاب «أرض القرآن» وهو أول كتاب في لغة شرقية إسلامية على جغرافية أرض النبوات وعهد القرآن، بحث فيه عن تاريخ العرب وغزواتهم قبل الإسلام وموجات

(١) كان التاريخ قد أصبح في أواخر القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين بعد الاحتلال الأوربي في الأقطار الاسلامية، مدخلاً واسعاً للشبهات حول الإسلام وحضارته ونظام حكمه ومعاملته لمن كان تحت حكمهم، وكان لا بد من العناية بعرض التاريخ الصحيح ودحض الشبهات، ونفي الافتراءات.

الهجرة من الجزيرة العربية وإليها، وعن ألسنتهم وأديانهم وتجارتهم وطرق حضارتهم، ألّفه سنة ١٩١٥م وقد استفاد فيه من المصادر الأجنبية في توسع، وكتاب «عرب ومندكي تعلقات» (الصلات بين العرب والهند) و «عربون كي جهاز راني» (الملاحة عند العرب) و «خيام» الكتب التي هي وليدة بحث دقيق، ودراسة موسعة وغوص في أغوار المكتبة الإسلامية الغنية الزاخرة، وشغف منقطع النظير بالعلم والبحث، والاطلاع والاستفادة، والتوسع والتعمق في المعلومات، وعلى ذلك فهي تمثل النمط العلمي والأدب العالي الذي يحق للّغة الأردية، وللجيل الجديد، أن يفتخرا به.

إن «عمر خيام» كان مفخرة إيران، ومن نوابغ شعرائها، وكبار علماء العلوم الرياضية فيها، لكنها - إيران - لا تستطيع أن تقدم كتابا يضارع هذا الكتاب - في قليل أو كثير - في إزاحة اللثام عن جوانب عظمة هذا النابغة، ومآثره العلمية، وفي الدراسة المضنية التاريخية الموضوعية.

أما كتابه «خطبات مدراس» الذي نقل إلى اللغة العربية باسم «الرسالة المحمدية»[1] فهو من أقوى ما كتب في السيرة النبوية والرسالة المحمدية، وأكثره تركيزاً وأغزره مادة، وأشده تأثيراً، وكذلك كتابه «سيرة عائشة» من أحسن ما

---

(١) نقله صديقنا الفاضل الأستاذ محمد ناظم الندوي إلى العربية، وصدرت له عدة طبعات في العواصم العربية.

كتب في هذا الموضوع، وفي سيرة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها.

وقد فاق العلامة السيد سليمان الندوي أستاذه أحيانا في سعة الدراسة، والاطلاع على المصادر الحديثية والفقهية، والتزام ما عليه الجمهور من أهل السنة من المسلك في المسائل الخلافية والكلامية، ولكل درجات.

وقد التفت حول العلامة السيد سليمان الندوي - روح هذه المؤسسة العظيمة وقطبها - مجموعة من الكتاب الإسلاميين، والمؤرخين الباحثين، أكثرُهم من متخرجي دار العلوم ندوة العلماء التي كانت ولا تزال تمد هذه المؤسسة بأبنائها النجباء، نكتفي هنا في هذه العجالة بذكر الكاتب القدير البحاثة الشيخ عبدالسلام[1] الندوي صاحب كتاب «أسوة صحابه» الذي تلقي بالقبول في الأوساط الدينية العلمية و «شعر الهند» و «حكماء الاسلام» وغيره من الكتب، والعالم الجليل الشيخ عبدالباري الندوي أستاذ الفلسفة في الجامعة العثمانية بحيدر آباد، صاحب البحث القيم في المعجزات النبوية من زاوية الفلسفة الحديثة والعلوم العقلية المدرج في الجزء الثالث من سيرة

(١) يعتبره كثير من النقاد أشبه تلاميذ العلامة شبلي بأستاذه في الأسلوب والبيان واللغة.

النبي ﷺ، وكتابي «بين الدين والعقل»[1] و «بين الدين والعلم»[2]، والأستاذ الفاضل الحاج معين الدين الندوي، والكاتب الأديب الناقد والمؤرخ الفاضل الشيخ معين الدين أحمد الندوي، والأستاذ الباحث السيد رياست علي الندوي، والأستاذ السيد نجيب أشرف الندوي، والشيخ سعيد الأنصاري، والشيخ عبدالسلام القدوائي الندوي، والأستاذ مجيب الله الندوي، والأستاذ ضياء الدين الإصلاحي، وأخيراً لا آخراً المؤرخ الأديب والكاتب الكبير، السيد صباح الدين عبدالرحمن مدير دار المصنفين حالياً، ورئيس تحرير مجلة «المعارف» التي كانت ولا تزال تعد أرقى المجلات العلمية التي يصدرها مجمع علمي في شبه القارة الهندية، وللبحوث والمقالات التي تنشر في هذه المجلة قيمة كبيرة في الأوساط العلمية.

ندوة المصنفين في دلهي:

وقد قام بعد دار المصنفين (التي قامت سنة ١٩١٤) مجمع علمي آخر باسم «ندوة المصنفين» في دلهي، منشؤها ومديرها سماحة الشيخ المفتي عتيق الرحمن العثماني، وقد نشأت عام ١٩٣٨م، كان من أصحاب فكرتها والذين يرجع إليهم الفضل في نشوءها الزعيم المسلم المجاهد المرحوم الشيخ حفظ الرحمن سكرتير جمعية العلماء سابقاً، وهي تصدر مجلة علمية

(١) اسمه في الأردية «مذهب وعقليات» وقد نقله إلى العربية الأستاذ واضح رشيد الندوي بعنوان «بين الدين والعقل».

(٢) اسمه في الأردية «مذهب وسائنس» نشره المجمع الإسلامي العلمي، في ندوة العلماء.

شهرية هي مجلة « برهان » يرأس تحريرها فضيلة الأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي، ولها مطبوعات قيمة حازت القبول والتقدير في الأوساط الإسلامية العلمية، وقد تجاوزت منشوراتها مئة كتاب في علوم القرآن والحديث والسنة، والأخلاق والتربية، ونظام الاسلام السياسي والاقتصادي، وتاريخ البلاد، وتاريخ الفقه، وتاريخ التصوف الاسلامي وأئمته ورجالاته في الهند[1]، وفي التراجم والسير، يعد عدد منها فريداً في موضوعه، وذا قيمة علمية وتحقيقية كبيرة.

كتاب وباحثون آخرون:

وقد لمعت أسماء بعض المؤلفين الباحثين خارج هاتين المؤسستين العلميتين الكبيرتين، وصدرت لهم كتب ذات قيمة كبيرة في موضوعها، من أشهرها مولانا أبو الكلام آزاد الزعيم المسلم المشهور ووزير التربية الأسبق في الجمهورية الهندية، صاحب ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأردية المعروفة « بترجمان القرآن » مع تعليقات ذات قيمة علمية وأدبية وبعض بحوث مبتكرة، والكتاب رغم أنه لم يكمل فقد أثر في الطبقة المثقفة تأثيراً قوياً، وقرَّبها إلى دراسة القرآن والاعتراف بإعجازه، وذلك لمستوى الكتاب الأدبي الرفيع، والأسلوب البليغ القوي،

(١) من أهمها كتاب « ترجمان السنة » في أربعة أجزاء، للعالم الكبير الشيخ بدر عالم الميرتي نزيل المدينة المنورة ودفينها، « وقصص القرآن » للشيخ حفظ الرحمن، و « الرق في الإسلام » و « صديق أكبر » للأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي « وتاريخ مشايخ جشت » للأستاذ خليق أحمد نظامي.

والعلامة السيد مناظر أحسن الكيلاني صاحب كتاب « النبي الخاتم » و « تدوين الحديث » و « نظامنا التربوي القديم » و « نظـام الاقتصـاد الإسلامـي » و « حيـاة الإمـام أبي حنيفـة السياسية » وغيرها ، والأستاذ عبدالماجد الدرياآبادي ، صاحب محاضرات وبحوث في القرآن، وكتاب « التصوف الإسلامي » والعلامة عبدالرؤوف الدانافوري صاحب كتاب « أصح السير » و « الاسلام والقضايا المدنية » والأستاذ الكبير السيد أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند صاحب كتاب « الجهـاد في الإسلام » الذي أصـــدرت طبعتـــه الأولى « دار المصنفين » سنـة ١٩٣٠م وكتـاب « الحجــاب في الاسلام » ومسألة الربا ، ومجموع مقالات في نقد الحضارة الغربية وقيمها ومثلها المعـروف « بتنقيحـات »، ومجموع مقـالات أخـرى في موضــوعـات إسلاميــة المعـروف « بتفهيمات » وتفسير « تفهيم القرآن » تتميز كتاباته العلمية بإيثار طريقة الهجوم على طريقة الدفاع والاعتذار، وكان رغم اختلافنا عن بعض وجهات النظر وبعض الملاحظات، الاختلاف الذي يتسع مجاله مع كل عالم وباحث وفي كل عصر ومصر،[1] لا بد من الإشارة إلى أنه كان لبحوثه العلمية الأولى التي تكلم فيها عن مستوى عال وفي أسلوب قوي، ولمقالاته ورسائله في مشكلات العصر، وحلولها الإسلامية، دوي في الأوساط الإسلامية التي كانت

(١) ليراجع كتاب المؤلف « التفسير السياسي للإسلام » طبع الهند ومصر.

تعاني قلقا فكريا، وكانت في دور انتقال، وكان لها فضل في إعادة الثقة في الطبقة المثقفة بجدارة الإسلام وفضله، والحاجة إليه، والأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي صاحب كتب «الرق في الاسلام» و «الصديق الأكبر» وغيرهما من المؤلفات، والبروفيسور خليق أحمد النظامي رئيس قسم التاريخ في جامعة علي كره، والدكتور نذير أحمد رئيس القسم الفارسي في تلك الجامعة، والأستاذ ضياء الحسن الفاروقي، والدكتور نجاة الله الصديقي.

وهناك كتاب ناهضون لهم مستقبل زاهر في عالم التأليف والبحث، لا يتسع هذا المجال لذكرهم، فليس هذا المقال المستعجل الذي يسطر على تشتت بال، وانشغال فكر، دليلاً شاملاً لأسماء الكتاب والباحثين، إنما هو تعريف موجز للنشاط العلمي والحركة التأليفية في الهند.

الدراسات الإسلامية في باكستان:

ومعذرة من ذكر الكتاب الإسلاميين المرموقين في البلد الشقيق الجار باكستان في تفصيل واستقصاء[1]، فقد شمل الحديث عن شبه القارة الهندية هذا الجزء، وإن لم يتسع المجال والوقت للتوسع، فلا يسع التغاضي عن ذكر العلامة المرحوم

(١) وقد منعت الحواجز المصطنعة غير الطبيعية عن الاطلاع الواسع والتتبع الدقيق للحركة العلمية والمؤسسات الفكرية والكتب والمجلات الصادرة في هذا القطر الإسلامي الكبير.

محمد شفيع المشرف على دائرة المعارف الإسلامية الأردية، الصادرة من جامعة بنجاب، والدكتور اشتياق حسين قريشي وزير المعارف الأسبق، والدكتور محمد رفيع الدين صاحب الكتاب القيم «القرآن والعلم الحديث[1]»، والدكتور السيد عبدالله المشرف على دائرة المعارف الاسلامية، والأستاذ بزمي أنصاري، والأستاذ محمد أسلم، والشيخ عبدالقدوس الهاشمي الندوي صاحب مؤلفات وبحوث كثيرة، وفضيلة الشيخ محمد تقي العثماني صاحب المقدمة المنيرة المستفيضة على ترجمة كتاب «إظهار الحق» للعلامة الشيخ رحمة الله الكيرانوي، والأستاذ عبدالحميد الصديقي، والأستاذ مظهر الدين الصديقي، والأستاذ خورشيد أحمد.

وقد نشأت بعد قيام باكستان مؤسستان للبحث الإسلامي العلمي، والدراسات الإسلامية، أولاهما: مؤسسة الثقافة الإسلامية في لاهور، والثانية: مجمع البحوث الإسلامية في إسلام آباد، (Islamic Researeh Institute Islamabad) التابع للجامعة الإسلامية في إسلام آباد، يرأسه الآن الدكتور عبد الواحد هالي بوتا، وتصدر هذه المؤسسة مجلة في اللغة العربية باسم «الدراسات الإسلامية» ومجلة في أردو باسم «فكر ونظر».

(١) له كتابان مهمان بالانكليزية أحدهما (Manifesto of Islam) وآخر (Ideology of Future)

تفوق خريجي المدرسة القديمة في البحث والإنتاج العلمي:

حقيقة تاريخية أن علماء الهند الذين درسوا العلم على الطريقة القديمة، لم يتخلفوا عن ركب العلم والبحث والتحقيق فترة قصيرة من الزمن - بالعكس من عديد من الدول الإسلامية - ولم تنقطع صلتهم بلغات بلادهم وآدابها، كما حدث في كثير من الدول الإسلامية والدول العربية، فظلوا يؤدون دوراً قيادياً في المجالات العلمية والأدبية، بجانب القيام بالدور الطليعي في مجال السياسة وحركة تحرير البلاد، وخلفوا مآثر في الأدب والنقد والشعر، تنطق بذوقهم الأدبي الفائق، وبتذوقهم للغة وآدابها، واقتدارهم على النقد الأدبي، ومهما أسماها بعض من هب ودب بمحاولات بدائية، ولكنها في الواقع كمعالم في الطريق «فمقدمة شعر وشاعري» و «يادكار غالب» لمؤلفهما الشيخ ألطاف حسين الملقب في الشعر «حالي» و «موازنة أنيس ودبير[1]» للعلامة شبلي النعماني، وكذلك كتاب «كل رعنا» لزميله العلامة السيد عبدالحي (رحمه الله الحسني - أمين ندوة العلماء العام الأسبق - في تاريخ أردو وتراجم شعرائها، و «ياد أيام» في تاريخ ولاية «كجرات» العلمي والثقافي، والبنائي والاجتماعي، والأخلاقي، وتقدمها في ميدان التعليم والتربية والصناعات، في عهدها الإسلامي الذهبي، وفي تراجم علمائها ومشايخها وسلاطينها، وهو نموذج مثالي رائع

(١) مقارنة بين شاعرين أورديين معاصرين متنافسين «أنيس» و «دبير».

للكتابة في مثل هذا الموضوع يجب أن يتبعه الكتاب والمؤرخون في كتاباتهم العلمية والتاريخية، وأودع المؤلف في كتابه «كل رعنا» مباحث ونظريات طريفة،ووضع من خلالها الأصبع على أخطاء تاريخية، وآراء شاذة متطرفة، تضمنها كتاب «آب حياة» للكاتب الشهير محمد حسين آزاد الذي كان له سحر في الأوساط الأدبية شغل الناس عن التمحيص والتحليل والنقد الجريء، و «شعر الهند» للأستاذ عبدالسلام الندوي، وكلها حلقات ذهبية في هذه السلسلة العلمية، ومهما تقدم العلم والنقد خطوات، ومهما تكثفت الجهود في هذا الموضوع، فإننا لن ننسى ما كان لهؤلاء المؤلفين والباحثين من الفضل في خدمة اللغة والأدب، وسوف نظل مدينين لجهودهم المخلصة في هذا المجال.

أفراد يقومون بدور المجامع العلمية:

وقد قام بعض الأفراد في الهند وحدهم بما تقوم به المجامع العلمية، بمكتباتها الغنية، ووسائلها الوفيرة، وجهازها التحريري والإداري الكبير، من بحث وتحقيق، وكتابة وتأليف، وذلك كله في عزلة علمية مادية، وزهادة في المعونات الحكومية، وبعد عن الدعاية والشهرة، وخمول وانزواء، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن البيئة العلمية والتربوية القديمة التي نشأ وعاش فيها هؤلاء المؤلفون كانت أقدر على بعث روح المثابرة والصبر والجلد، والتضحية وتحمل العناء والمشاق من البيئة العلمية الحديثة والجامعات العصرية.

نخص بالذكر من هؤلاء العلماء والمؤلفين العلامة محمود حسن خان التونكي (م ١٣٦٦ هـ) صاحب كتاب «معجم المصنفين» (في العربية) في نحو ستين ٦٠ مجلداً، يحتوي على عشرين ألفاً من الصفحات، وعلى تراجم أربعين ألفاً من المصنفين، وقد ظهرت من الكتاب أربعة أجزاء على نفقة الحكومة الآصفية في حيدر آباد سنة ١٣٥٤ هـ من بيروت، الجزء الأول في أمور عامة مفيدة كأبواب وفصول في تقييم العلم وفي أوائل ما ظهر من العلوم، وفصول في ملل وأمم مختلفة بحسب عنايتها بالعلوم، وباب خاص بالتدوين في الإسلام، وأبواب في المؤلفين والمؤلفات على اختلاف طبقاتهم وأنواعها، وفصول في مختلف العلوم والفنون، ومن أكبر مزايا الكتاب شموله واحتواؤه، يقول المؤلف في مقدمة الكتاب بعد ذكر «كشف الظنون» للجلبي وما استدرك عليه:

«فبذلك جاء كتابنا هذا شرحا للكشف واستدراكاً عليه في باب المصنفات، ولم آل جهدي في الاستقصاء، فبالغت في إحراز تراجم العلماء الذين صنفوا في العلوم التي تداولت في عهد الاسلام، من العلوم الإسلامية وغيرها من معقولات الفلاسفة، من العلماء الذين نشأوا في بلاد العرب والعجم، والعراق، ومصر، والأندلس، والروم، وخراسان، وما وراء النهر، والسند، والهند وما وراء ذلك، ولا أقول: إني أوعبت العلماء كلهم في الكتاب، وإنه لا يغادر صغيراً ولا كبيراً من

أهل التأليف إلا أحصاه بل ذلك خارج عن طوق البشر[1]».

ويدل على استيعاب الكتاب أن عدد من جاء ممن اسمه إبراهيم بلغ إلى ٣٤٨ إسما، ومع الأسف بقي هذا الكنز الثمين دفيناً في إحدى المكتبات الخطية في حيدر آباد، لأن الأعمال في الشرق الإسلامي - مع الأسف - ليست بقيمتها العلمية، وعناء المؤلفين فيها، وحاجة المشتغلين بالعلم إليها، بل بالدعاية ووسائل النشر، وتبني المؤسسات والحكومات لها.

والعلامة السيد عبدالحي الحسني (م ١٣٤١ هـ) صاحب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»[2] في ثمانية مجلدات تحتوي على أكثر من أربعة آلاف وخس مئة ٤٥٠٠ ترجمة من أعيان الهند ورجالاتها، من القرن الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، وهو الكتاب الذي عليه الاعتماد في الشرق والغرب فيما يتصل بتراجم رجال الهند وأخبارهم، والكتاب يغطي المساحة الزمنية الممتدة من القرن الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، والمساحة المكانية الممتدة من مضيق خيبر إلى خليج بنغال، وتلك ميزة لا يُشاركه فيها كتاب في الطبقات والتراجم ألف في قطر من الأقطار الاسلامية والعربية[3]، هذا عدا ما التزمه المؤلف من التحري

(١) المجلد الأول ص ٢٩

(٢) صدرت للكتاب طبعتان من دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد (الهند).

(٣) فجميع هذه الكتب المؤلفة في الطبقات والتراجم خارج الهند تختص بقرون مخصوصة أو ولايات مخصوصة، أو طبقات معينة كالمحدثين والفقهاء، أو النحاة أو الأطباء وغيرهم، بخلاف هذا الكتاب فإنه يشمل جميع الطبقات من أهل النباهة والشأن.

للدقة والأمانة العلمية، وحسن الاختيار والتلخيص، وتحديد اختصاص صاحب الترجمة وطبقته، وكتاب «الثقافة الاسلامية في الهند[1]» الذي هو كدليل شامل كامل لمؤلفات علماء الهند في الفنون الإسلامية والأدبية والحكمية، وتاريخ الحركة العلمية وتطورها ونموها، والمناهج الدراسية وما طرأ عليها من تقلبات في مختلف العهود مع بيان أسبابها وخلفياتها، ولا نعرف بلداً إسلامياً أرخ المنهج الدراسي فيه، والمقررات الدراسية، هذا التاريخ المتصل مع بيان عوامله وأسبابه، وكتاب «الهند في العهد الإسلامي[2]» الذي هو حلقة ذهبية من سلسلة كتب الخطط والآثار لمختلف البلاد والأمصار، وفصل واحد منه يتضمن ما انتشر في مكتبة، وصفحة واحدة تقوم بكتاب كبير.

ويدخل في هذا الطراز من المؤلفين العلامة حميد الدين الفراهي المعروف بالمعلم عبدالحميد الفراهي (م ١٣٤٩ هـ) الذي هو صاحب منهج خاص في التفسير يعنى بنسق الآيات وربطها بصفة خاصة، له نظام الفرقان، وهو صاحب كتاب «الإمعان في أقسام القرآن» و «الرأي الصحيح في من هو الذبيح» وهو خير ما ألف في هذا الموضوع.

---

(١) قام بنشره المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٧٧ هـ(١٩٥٨م) وقد نفدت هذه الطابعة، وستصدر الطابعة الثانية مع ذيول للكتاب وتتمة من مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي قديماً) في دمشق قريباً إن شاء الله.

(٢) قام بنشره دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد.

وكذلك العلامة عبدالعزيز الميمني (م ١٣٩٨ هـ). الراجكوتي صاحب «أبو العلاء وما إليه[١]» وهو أحسن كتاب في الموضوع تحقيقاً ودقة وعمقاً، وكتاب «سمط اللآلى[٢]»، وكان المرحوم، أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، وجماعة تصحيح لسان العرب لابن منظور.

ومن علماء الهند البارزين الذي قاموا بدور العمل المجمعي الموسوعي فردياً في علم الحديث، العلامة عبد الرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، الأعظم كرهي (م ١٣٥٣ هـ) صاحب «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» في ثلاثة مجلدات كبار، وجزء مفرد بالمقدمة، يدل على علو كعبه في معرفة أسماء الرجال وفن الجرح والتعديل، وطبقات المحدثين وتخريج الأحاديث.

والشيخ العلامة المحدث محمد زكريا بن محمد يحي الكاندهلوي السهارنفوري (المهاجر إلى المدينة المنورة) ويكفي دلالة على سعة نظره ومدى عنائه في البحث والتحقيق كتابه «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» في ستة أجزاء كبار، ومقدمته على هذا الكتاب، وعلى كتاب «لامع الدراري على

---

(١) نشرته دار المصنفين في أعظم كره في سلسلة مطبوعاتها، وطبع بالمطابعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ، وفي الكتاب تقريظ وآراء بقلم العلامة أحمد تيمور، والشيخ أحمد الاسكندري، والشيخ عبدالوهاب النجار، والعلامة أحمد محمد شاكر.

(٢) نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر سنة ١٩٣٦م في ثلاثة مجلدات كبار.

جامع البخاري » موسوعتان صغيرتان فيما يتصل بهذين الكتابين الجليلين ومؤلفيهما العظيمين، وبحوث مفيدة في أصول الحديث وأسماء الرجال، ومعلومات قيمة عن الأئمة الأربعة ومذاهبهم، وفيما يختص بالهند وأخبار كبار الأساتذة و المحدثين فيها وكذلك كتابه « حجة الوداع » و « عمرات النبي ﷺ » يمتاز باستيعاب شامل واستقصاء كامل في هذا الموضوع.

ومنهم المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وقد تجلى اختصاصه في علم الحديث وأسماء الرجال، وتبصره في علوم الحديث، ودقة نظره في إخراجه لمصنف الحافظ عبدالرزاق بن همام الصنعاني (م ٢١١هـ)[١]، وقد أفرد جزءاً خاصاً بمقدمة هذا الكتاب، وقد عني قبل هذا بتحقيق مسند الحميدي، وسنن سعيد بن منصور،[٢].

وكتاب « حياة الصحابة » في ثلاثة مجلدات كبار للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (أمير جماعة التبليغ) (م ١٣٨٤ هـ) يكاد يكون موسوعة في حياة الصحابة وسيرتهم الإيمانية

(١) قام بنشره وطبعه في بيروت المجلس العلمي الذي له مكاتب في سملك دابهيل الهند، وكراتشي، وجوهانس برغ، وقد أنشأه الشيخ محمد ميان السملكي الهندي، المقيم في جوهانس برغ (م١٣٨٢هـ)

(٢) وقد حقق « كتاب الزهد والرقائق للامام عبدالله بن مبارك المروزي » و « كشف الاستار عن زوائد البزار » على الكتب الستة تأليف الحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي وقد نشرت منه مؤسسة الرسالة الأول والثاني والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلاني.

والدعوية والخلقية والسلوكية، ومن أجمع ما كتب في الموضوع وأكثره احتواءاً وتنوعاً[1].

ويدخل في هذه القائمة الموقرة للباحثين المحققين، الأستاذ الكبير امتيازي علي قرشي الرامفوري (م ١٩٨١م) الذي قام بتحقيق «تفسير القرآن الكريم» للإمام سفيان الثوري والتعليق عليه والمقارنة بأصول الكتاب الأخرى، مع مقدمة ضافية في تاريخ تأليف التفسير، وترجمة الإمام الثوري والكتاب يقع في ٢٤٤ صفحة. وفي آخره خاتمة في تراجم رجال الثوري، والاستدراك ثم فهرس المآخذ والمراجع،طبع في رامفور (الهند) سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م).

وله من الكتب التي حقّقها وعلق عليها «كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى» لأبي عبيد القاسم بن سلّام، طبعته المطبعة القيمه لمباني الهند سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٨ م).

دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد:

ومن المؤسسات العلمية الكبيرة التي كان لها فضل كبير في إحياء الكتب الدينية والعلمية، وبعثها من مدافنها في المكتبات العتيقة، ونشرها بتصحيح وتحقيق في العالم الإسلامي، دائرة

---

(١) صدرت الطبعة الأولى من مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، والطبعات التالية من دمشق وغيرها.

المعارف العثمانية في حيدر آباد التي تأسست عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨م) بتوجيه العلامة السيد حسين البلكرامي، ومولانا عبدالقيوم، ومولانا أنوار الله خان أستاذ سمو «النظام»، وقد نشرت أكثر من مئة وخمسين كتاباً قيماً من كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريخ والعلوم الرياضية والحكمية، حرمها العالم الإسلامي والأوساط العلمية من عهد بعيد، وتسامع بها العلماء والمدرسون، فكانت خدمة جليلة للعلم والدين وبرهاناً على ما كان - ولا يزال - للمسلمين الهنود من اتصال روحي وفكري بالثقافة الإسلامية وحب عميق لها، وقد اعترف بجهود هذه المؤسسة العظيمة وجلالة عملها وقيمة ما تنشره من التراث العلمي كبار العلماء ورجال الثقافة في الشرق وأوربا[١].

العمل التأليفي والتحقيقي في اللغة العربية في العالم العربي:

أما في اللغة العربية التي هي اللغة العلمية العالمية للعالم الاسلامي، وأولى اللغات بأن تتم فيها الدراسات الإسلامية، والبحوث العلمية، على مستوى أعلى وإطار أوسع، فقد ظهرت فيها في العالم العربي مؤلفات وبحوث إن لم تكن جديدة بسعة

(١) من أهم مطبوعاتها مسند أبي داود الطيالسي، والسنن الكبرى للبيهقي، والمستدرك للامام الحاكم ومعرفة علم الحديث للحاكم في الحديث وعلومه، والاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر، وتذكرة الحفاظ للذهبي، وتهذيب التهذيب لابن حجر في علم الرجال، والتاريخ الكبير للإمام البخاري والمنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي، في التاريخ، وكتاب البيروني في تحقيق ما للهند، والإكمال لابن ماكولا، والأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزوقي في علوم مختلفة.

هذه اللغة، وسعة العالم العربي وأهميته كماً وعدداً، فإنها لاشك تعتبر نماذج للبحث العلمي، وغزارة المادة وحسن التحليل، تأتي في طليعة هذه الكتب سلسلة «فجر الإسلام» و «ضحى الإسلام» للدكتور أحمد أمين بك، على ما فيها من مآخذ وملاحظات، وفي بعض آراء المؤلف شذوذ ومجال للنقاش[1]، وقد سجلت تعليقاتي عليها أثناء دراستي لها، وأخبرت بذلك المؤلف الفاضل في أولى لقاءاتي له في القاهرة في يناير ١٩٥١م، فأحب الاطلاع عليها والاحتفاظ بنسختي، ولكن مما لا شك فيه أن هذه الكتب نموذج لجمع المواد المبعثرة في المصادر القديمة، وتحليلها العلمي، والاستنتاج منها، وعرض التاريخ الإسلامي في الأسلوب العصري الذي لا تتفوق عليه كتابات كبار المستشرقين، هذا مع مجاراة الطابع والرواء، وعدم التكلف وحسن الإنشاء، وجمال العرض.

ويلحق بذلك كتابات أمير البيان الأمير شكيب أرسلان وتعليقاته، خصوصاً كتابه الجليل «الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية»[2] (١ ـ ١٠) وحواشيه على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» في أربعة أجزاء، والكتاب من تأليف (Lothrop Stoddard) وترجمة الأستاذ عجاج نويهض، فالأول موسوعة صغيرة في ما يتعلق بالأندلس الإسلامي، والثاني موسوعة في

---

(١) ليرجع إلى كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص٢٨١ ـ ٣٠٢.

(٢) طبعت منه ثلاثة أجزاء.

واقع العالم الإسلامي ورجالاته وحركاته وبلاده، وقد جاء فيه نقد بصير للمستشرقين والمؤرخين الأوربيين، ودراسات قيمة عن الحضارة الإسلامية، والحركة العلمية فيها ومعلومات وثيقة عن الدولة العثمانية وما كان يتخللها من نزعات وحركات متناقضة، وعن فتوح العرب والفتوحات الإسلامية في مختلف البلاد، وعن تاريخ الاحتلال الأجنبي في مختلف البلاد الإسلامية والحركات المناوئة له، وعن النهضة الإسلامية في القارات المختلفة، ومقالات وبحوث مفيدة في الدفاع عن الإسلام، ودحض الأباطيل، وكتاب «غزوات العرب في فرنسه وشمالي إيطاليه وفي سويسره».

وكان كتاب «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (في اثني عشر (١٢) مجلداً من أصل الكتاب ومستدركه ومجموع خطوط وصور) معجماً في سير الأفراد وقاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب، والمستعربين والمستشرقين، والكتاب عمل موسوعي مجمعي يشكر مؤلفه عليه ويعترف بمجهوده الفردي، وقد ظهرت براعة المؤلف في الاطلاع الواسع والاحتواء الكبير، وفي حسن التلخيص والاقتباس وتوفير الوقت والمجهود على المؤلفين والباحثين.

وكذلك مؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد، والأستاذ محمد كرد علي، فإنها تمتاز بالعمق، وسعة الدراسة والثقافة، والاطلاع على المصادر الأجنبية، وكتب العقاد في العبقريات،

وكتابه « المرأة في القرآن » وأثر العرب في الحضارة الأوربية، « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » وغير ذلك من المؤلفات والبحوث، وكتاب الأستاذ محمد كرد علي « الاسلام والحضارة العربية »، وكتابه « خطط الشام » مثال للكتابة العلمية والعمل المجمعي الموسوعي.

كذلك كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي « وكتاب تاريخ التراث الإسلامي » لفؤاد سزكين عمل مجمعي يستحق التقدير، مع الاحتفاظ ببعض الملاحظات والنقد الذي هو حق الباحثين وطلاب العلم في كل عصر، وكتب اللواء الركن محمود شيت خطاب في الغزوات والفتوح الاسلامية بعنوان قادة الفتح الإسلامي، و « الرسول القائد » كتب ذات قيمة علمية تاريخية وعسكرية، ومادة غزيرة من المعلومات والدراسات.

ولا ينسى في هذا الصدد المشروع العلمي الكبير والمخطط الواسع النافع الذي يقوم به صديقنا الأستاذ أنور الجندي وحده وهو « موسوعة مقدمات العلوم والمناهج » المجلد الأول منه خاص بالفكر الإسلامي، والمجلد الثاني في تاريخ الإسلام، والمجلد الثالث في العالم الإسلامي المعاصر، والرابع في اللغة والأدب والثقافة، وقد صدرت هذه المجلدات الأربعة، أما الخامس ففي التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، والسادس في المجتمع الاسلامي، والسابع في الحضارة والعلم والعلوم

الاجتماعية، والثامن في الإسلام وموقفه من الفلسفات والأديان، والتاسع في الشبهات والأخطاء الشائعة، والعاشر في حركة اليقظة الإسلامية. ولو تم هذا العمل وصدر الكتاب لجميع أجزائه كانت موسوعة كبيرة فيما يتصل بالإسلام والمسلمين، ومكتبة غنية في العلوم والآداب الإسلامية.

ويلحق بكتاب الأعلام للزركلي، وتاريخ التراث الإسلامي لفؤاد سزكين، كتاب «معجم المؤلفين» (تراجم مصنفي الكتب العربية) تأليف عمر رضا كحالة، في خمسة عشر جزءاً، وإن كان ينقصها أسماء كثير من المؤلفين المعاصرين، ولكنه مجهود يستحق التقدير والشكر[1].

أما في الموضوعات الدينية الشرعية، فكتب العلامة محمد أبي زهرة في مؤسسي المدارس الفقهية والعقائدية في الإسلام، وفي تاريخ الفرق الإسلامية وعقائدها، وكتاب صديقنا المجاهد الداعية الدكتور مصطفى السباعي «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» وهو أفضل ما كتب في الموضوع وأجمعه، وكذلك كتابه «المرأة بين الفقه والقانون»، وكذلك كتاب زميله وصديقنا الاستاذ مصطفى أحمد الزرقاء «المدخل الفقهي العام» مجهود علمي كبير يسد حاجة الأقطار الإسلامية التي يعنيها تطبيق الشريعة الإسلامية والقانون الإسلامي المدني، وكذلك

(١) ألف الكتاب في ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧م) ونشرته مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.

كتاب «التشريع الجنائي الإسلامي، مقارنا بالقانون الوضعي» للأستاذ عبدالقادر عودة الشهيد، عمل علمي تحقيقي وإنتاج حقوقي كبير.

كذلك عمل الشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا الساعاتي والد الإمام الشهيد حسن البنا في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل على الأبواب الفقهية وتحقيقه، عمل جليل تاريخي، وهو المسمى «بالفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني»[1] وكذلك عمل العلامة أحمد محمد شاكر في هذا الموضوع نفسه عمل فردي شاق ينوء بالعصبة أولي القوة[2].

دراسات إسلامية عميقة ومقارنة:

وقد ظهر في هذه الفترة كتاب دل على سعة دراسة عالم ديني فقيه وعمق نظره في الفلسفة القديمة والحديثة، واطلاعه الواسع الدقيق على ما وصل إليه علم الحديث، - من الفيزيا والفلك - وحسن عرضه للعقيدة الإسلامية وإثباتها بالدلائل العلمية، في إطار قصة شائقة، وهو كتاب «قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن» للشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي[3].

(١) مع الأسف لم يكمل هذا العمل، وقد صدر من هذا الكتاب العظيم اثنان وعشرون (٢٢) جزءا، ومع الكتاب بلوغ الأماني من أسرار. الفتح الرباني، صدر من مطبعة الاخوان المسلمين.

(٢) خرج العلامة أحمد محمد شاكر أحاديث الكتاب ورقمها وجعل لها فهارس للموضوعات وعلق تعليقات قيمة، وقد طبع من الكتاب خمسة عشر جزءاً، واخترمته المنية قبل أن يتمه رحمه الله

(٣) وهو ابن الشيخ حسين الجسر صاحب «الحصون الحميدية» الكتاب الذي ملأ فراغاً في الحلقات الدراسية والمدرسية القديمة، وسد حاجة من حاجاتها العلمية والتعليمية، كذلك «الرسالة الحميدية»

وكذلك كتابان للعالم العراقي الأستاذ محمد باقر الصدر يتسمان بعمق الدراسات المقارنة والاطلاع الواسع ودقة النظر في الفلسفات والنظم المعاصرة، وهما كتاب «إقتصادنا» في جزئين، الجزء الأول في دراسة موضوعية للمذاهب الاقتصادية، والجزء الثاني في محاولة لاستنباط المذهب الاقتصادي في الإسلام، والكتاب الثاني «فلسفتنا» وهي دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم، ومن البديهي أنه لا يستلزم هذا الاعتراف الموافقة الكلية على ما جاء في هذين الكتابين.

ويأتي بعد ذلك دور كتابات الأستاذ سيد قطب الشهيد، في مقدمتها كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام»[(١)] ومؤلفات أخيه محمد قطب ككتابه «شبهات حول الإسلام» وكتبه في التربية الإسلامية وعلم النفس، وكتاب الدكتور محمد البهي «الفكر الإسلامي الحديث» وكتاب الأستاذ محمد المبارك ـ الذي فقده العالم العربي والدعوة الإسلامية حديثاً ـ «في الفكر الإسلامي الحديث» وكتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» و «حصوننا مهددة» للدكتور محمد محمد حسين، أما كتاب صديقنا الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي «فقه الزكاة»

(١) مع تقدير الكاتب للكتاب وصلة الصداقة والحب بالكاتب، لا يوافق كاتب هذه السطور على كل ما جاء في الكتاب عن ثالث الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وعلى كل ما جاء في نقد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، والعصمة لله وحده.

فهو عمل موسوعي كبير وأجمع كتاب في هذا الموضوع، وقد نقل إلى اللغة الأردية.

كتاب الدعوة ودعاة الفكرة الإسلامية:

قد خصصنا بحثنا هذا بالكتب والبحوث التي تتناول الموضوعات التي كانت تعتبر من خصائص المستشرقين ومجالات تأليفهم، وتمتاز بالاتجاه الموسوعي الأكاديمي والدراسات المقارنة، والاستفادة من المصادر الأجنبية، وإلا فقد نشأت نهضة أدبية وتأليفية قوية بتأثير حركة «الإخوان المسلمون» الكبرى في مصر، وانتقل الأدب والكتابة والتأليف من دائرة البحث والتحقيق، المقصورة على العلماء والدارسين، إلى دائرة شعبية أوسع، ونبغ كتاب ومؤلفون يخاطبون الجمهور ويحركون العاطفة والإيمان ودوافع العمل الباطنية، وتمس كتاباتهم القلوب كما أنها تغذي العقول، كان في مقدمتهم وعلى رأسهم الأستاذ سيد قطب، والشيخ محمد الغزالي، والأستاذ سيد سابق (صاحب كتاب «فقه السنة» الكبير) والأديب الكبير الأستاذ علي الطنطاوي وغيرهم، واستعراض هؤلاء الكتاب وكتاباتهم الإسلامية الدعوية من موضوع مؤرخي الفكرة الإسلامية، والدعوة الإسلامية، ومجال البحث واسع يحتاج إلى كتاب مستقل[1].

---

(١) نشرت مجلة «البعث الإسلامي» الصادرة من ندوة العلماء لكهنؤ، الهند، سلسلة مقالات للأستاذ واضح رشيد الندوي، عنوانها «أدب الصحوة الإسلامية» وهي تدخل في هذا الموضوع، («البعث الاسلامي» الأعداد الثامن والتاسع والعاشر من المجلد السادس والعشرين، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م).

البحث والتحقيق في الجزيرة العربية:

وقد عاشت الجزيرة العربية فترة من الزمن في عزلة عن حركة البحث والتحقيق التي نشطت، وتوسعت في مصر والشام بصفة خاصة، بفضل المجامع العلمية (الأكاديميات) والجامعات الكبيرة الكثيرة، والمجلات العلمية الراقية، إلا أنها بدأت رحلتها في عهد الحكومة السعودية أخيراً، وظهرت كتابات وبحوث وتأليفات تمتاز بالروح التحقيقية، ويتسم بعضها بالطابع الموسوعي الأكاديمي، تظهر نماذجه في بحوث الأستاذ حمد الجاسر الجغرافية التحقيقية[1]، وبحوث الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار في اللغة والمعاجم[2]. والشيخ عبد القدوس الأنصاري في الخطط والآثار[3]، والأستاذ محمد أحمد باشميل في سلسلة من معارك الإسلام الفاصلة والغزوات النبوية الشهيرة[4].

---

(١) صاحب الكتابين، في سراة غامد وزهران، و «في شمال غرب الجزيرة»، وهو صاحب الإسهام في «الموسوعة الجغرافية لجزيرة العرب» صدر منه خمسة عشر مجلداً، وكلها من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

(٢) ككتابه «الصحاح ومدارس المعجمات العربية»، وتحقيقه لتهذيب الصحاح للزنجاني، والصحاح للجوهري، ومقدمة تهذيب اللغة للأزهري.

(٣) ككتابه «آثار المدينة المنورة» و «مدينة جدة»

(٤) صدرت منها عشرة أجزاء وهي غزوة بدر الكبرى، غزوة أحد، غزوة الأحزاب، غزوة بني قريظة، صلح الحديبية، غزوة خيبر، غزوة مؤته، فتح مكة، غزوة حنين، غزوة تبوك.

عدا هذا كتابات وكتب في موضوع الفقه والتشريع الإسلامي، والحديث والتفسير، وبعض القضايا الإسلامية المعاصرة، وقائمة أسماء العاملين في هذا المجال تطول، وأخشى أن تفوتني في هذه الفرصة القصيرة أسماء تستحق التنويه.

وقد ساقت الظروف القاسية والأوضاع السياسية المتقلبة في مراكز الثقافة الإسلامية العربية الكبرى في الشرق العربي، أقوى العناصر العلمية وخيرة الأساتذة والباحثين الإسلاميين إلى المملكة العربية السعودية، وإلى الكويت، وقطر، والإمارات العربية المتحدة، وإلى لبنان، والأردن أحياناً، فكان في ذلك مكسب لهذه الأقطار التي كانت تستورد البضاعة العلمية في الغالب، ولا تصدرها، وعينوا أساتذة في جامعاتها، فنشطت حركة البحث والتأليف، وإعداد البحوث والرسائل العلمية، خصوصاً في جامعات المملكة الست[1] وفي جامعة الكويت، وجامعة قطر في الدوحة، وجامعة العين في الإمارات، وظهرت بحوث ورسائل تتفاوت في قيمتها العلمية، وتختلف مستوياتها، ولكنها تعود على المكتبة العربية بفوائد وتثريها، وقائمة هؤلاء الأساتذة المهاجرين أو اللاجئين، أو الزائرين طويلة، ولكنها مشرقة لهذه الجامعات، ومصدر خير كثير.

(١) وهي جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الرياض، وجامعة الملك عبدالعزيز في جده، وجامعة أم القرى في مكة، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة البترول في الظهران.

رسائل الدكتوراه والبحوث الجامعية:

وكان لنظام رسائل الدكتوراه الجامعية، والبحوث التي يعدها طلبة الدكتوراه سهم في التمرن على البحث العلمي على الأسلوب العصري الجديد، وإن كان أكثرها لا يحمل قيمة كبيرة لكثرة الراغبين في ذلك، وعدم وجود الإشراف الدقيق، والتوجيه البصير الجاد في كثير من الجامعات، ولكن بعضها يحمل الخصائص الحسنة التي اشتهرت بها كتابات المستشرقين، من جمع للمواد المبعثرة في مظانها وفي غير مظانها، وحسن تنظيمها، والاستنتاج منها، بجانب المزايا التي لا يقدر عليها إلا أبناء اللغة، والناشئون في البيئة الإسلامية، يذكر من ذلك - على سبيل المثال - كتاب «المجتمعات الإسلامية في القرن الأول» للدكتور شكري فيصل[١]، وكتاب «أبو الكلام آزاد» رسالة جامعية للدكتور الشيخ عبدالمنعم النمر (وزير الأوقاف بمصر سابقاً)[٢] وكتاب «مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ» للأستاذ أحمد إبراهيم الشريف المدرس في كلية الآداب جامعة عين شمس[٣]، وكتاب «الطائف في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام» للدكتورة نادية حسني صقر[٤]،

(١) قامت بنشره مكتبة المثنى ببغداد، والخانجي بمصر سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م).
(٢) وله كتاب «تاريخ الاسلام في الهند» وكتاب «كفاح المسلمين في تحرير الهند» من أحسن ما كتب مؤلف غير هندي عن المسلمين في الهند.
(٣) نشرته دار الفكر العربي في مصر.
(٤) طبع دار الشروق جده ١٩٨١م.

وكتاب « بنو إسرائيل في القرآن والسنة » للدكتور محمد سيد الطنطاوي، و « الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير » تأليف الدكتور رمزي نعناعة.

في إيران وتركيا:

أما في إيران، وتركيا، فمعرفتي بالنتاج العلمي التحقيقي فيهما قليلة، أستثني من ذلك كتب الدكتور السيد حسين نصر باللغة الإنجليزية، وهي على مستوى رفيع من البحث واللغة.

في المغرب العربي الإسلامي:

أما ما يتصل بالمغرب العربي الشمالي، فما زالت المدرسة المغربية العربية الإسلامية، تحمل طابعاً خاصاً يتسم بسعة الدراسة، ونقاء اللغة، والاطلاع الواسع على مصادر السنة ودواوين الحديث، وقد كانت مؤلفات العلامة الشيخ عبدالحي الكتاني الحسني الإدريسي، وخصوصاً كتابه « التراتيب الإدارية » في نظام الحكومة النبوية أشبه بموسوعات علمية تحمل العلم الغزير والفوائد الكثيرة.

وقد نبغ في المغرب العربي مؤلفون باحثون تعمقوا في الدراسات الدينية وفهم مقاصد الشريعة الإسلامية، مثل العلامة زعيم المغرب الأستاذ علال الفاسي، والشيخ طاهر بن عاشور، وابنه الفاضل فاضل بن عاشور، والأستاذ مالك بن نبي والأستاذ محمد بشير الإبراهيمي، ولا يزال الأساتذة محمد

الفاسي، وعبدالله كنون، وعبدالكريم الخطيب، ومهدي بنعبود، وعبدالسلام يسين في المغرب الأقصى، والأساتذة الدكتور الحبيب بالخوجة، والشاذلي نيفر، وأحمد الحماني، يكتبون ويفيدون، ويثرون المكتبة العربية الإسلامية ببحوثهم وتحقيقاتهم، وهنالك كتاب وباحثون يظهرون على منبر «دعوة الحق» المغربية، والمجلات العلمية الصادرة من هذه الناحية في العالم العربي، يبشرون بمستقبل زاهر في مجال البحث والتفكير، من الصعب العسير استقصاء أسمائهم.

جهاد اليوم وواجبه المحتم:

وأختم هذا المقال بقطعة أستعيرها من كتابي «ردة ولا أبا بكر لها»

«إن جهاد اليوم وإن خلافة النبوة، وإن أعظم القربات، وأفضل العبادات أن تقاوم هذه الموجة اللادينية التي تجتاح العالم الإسلامي، وتغزو عقوله ومراكزه، وأن تُعاد الثقة المفقودة إلى نفوس الشباب والطبقات المثقفة بمبادىء الإسلام وعقائده وحقائقه ونظمه، وبالرسالة المحمدية، وأن يزال القلق الفكري، والاضطراب النفسي اللذان يساوران الشباب المثقف، وأن يقنعوا بالإسلام عقلياً وثقافياً، وأن تحارب المبادىء الجاهلية التي رسخت في النفوس، وسيطرت على العقول علمياً وعقلياً، وأن تحل محلها المبادىء الإسلامية باقتناع وإيمان، وحماسة.

لقد مضى علينا قرن كامل وأوربا تغتصب شبابنا وعقولنا، وتنبت في عقولنا الشك والإلحاد والنفاق، وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية، والإيمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية، ونحن معرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث، مضربون عن الإنتاج الجديد، معرضون عن فلسفاتها ونظمها ومحاسبتها محاسبة علمية، ونقدها وتشريحها كتشريح الأطباء الجراحين، متعللون بالبحوث السطحية المستعجلة، وبالزيادة في ثروتنا العلمية القديمة، حتى فوجئنا في العصر الأخير بانهيار العالم الإسلامي في الإيمان والعقيدة، وملك زمام الأمور في البلاد الإسلامية جيل لا يؤمن بمبادىء الإسلام وعقيدته، ولا يتحمس لها، ولا تربطه بالشعب المسلم المؤمن البريء إلا «القومية الإسلامية» أو المصالح السياسية.

إن العالم الإسلامي في حاجة إلى منظمات علمية تهدف إلى إنتاج الأدب الإسلامي القوي الجديد الذي يعيد الشباب المثقف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد، ويحررهم من رق الفلسفات الغربية التي آمن بها كثير منهم بوعي ودراسة، وأكثرهم بتقليد وتسليم، ويقيم في عقولهم أسس الإسلام من جديد، ويغذي عقولهم وقلوبهم، إنه في حاجة إلى رجال في كل ناحية من نواحي عالم الإسلام عاكفين على هذا الجهاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

★★★ ★★★ ★★★